

استنتاجات وتعليقات

بقلم : طه باقر
أمين المتحف العراقي

أولاً : - قصص وأساطير أخرى : لقد نشرنا في جملة أعداد سابقة من مجلة « سومر » (١) ، أشهر القصص والملاحم الأدبية مما جاءنا عن سكان العراق القديم باللغتين السومرية والبابلية ؛ بحيث ان ما نشر يمثل القسم الأعظم من تلك القصص والاساطير ، وقد ارتأيت ان اعقب على تلك النصوص باستنتاجات وتعليقات احلل بها المسائل المهمة التي عالجتها تلك القصص التي تعكس لنا أولى محاولات الانسان في التفكير في هذا الكون وقضايا الحياة . ولكن وجدت قبل البدء بتلك التعليقات والشروح أن أكمل سلسلة تلك القصص والاساطير بما نشره الباحثون حديثاً من

قصص أخرى دون أغلبها باللغة السومرية ، ويدور بعضها على البطل جلجامش وبعضها يتعلق بأعمال الآلهة . ونبدأ من هذه بالقصص الخاصة بجلجامش .

(١) قصص أخرى عن جلجامش :

قدمنا في العدد السابق من « سومر » (مج ٦ ، ع ٢ ، ١٩٥٠) أطول ملحمة باللغة البابلية عن « جلجامش والطوفان » ، ومما قلناه عنها انها نتاج أدبي من الآداب السامية وانها من هذه الناحية تكاد تكون أدبا ساميا بحثا على الرغم من ان اجزاء من حوادثها ووقائعها ترجع الى أصول سومرية (٢) . فقد كشفت البحوث الحديثة

(٢) انظر البحث الذي نشره الاستاذ « كرامر » في مجلة :

Journal of American Oriental Society,
vol. 54 (1944), pp. 7 ff.

(١) اشترك كاتب المقال مع الاستاذ بشير فرنسيس في نشر هذه النصوص في « سومر » المجلد الخامس (١٩٤٩) العددان الاول والثاني ، والمجلد السادس (١٩٥٠) العددان الاول والثاني .

(١) جلجامش وثور السماء (٥) :

ان هذه القصة السومرية التي تدور على جلجامش في حال غير كاملة ولذلك آتينا ايجزها ؛ وملخصها أن الالهة « اينا » ، وهي الهة الحب والحرب (واسمها السامي عشتار) ، أحببت البطل جلجامش فتقدمت اليه وعرضت ما ستعقد عليه من النعم والهدايا لو أجاب طلبها . ولكن جلجامش رفض طلب الالهة وازدرى بها (٦) . فتملك « اينا » الغضب وصعدت الى السماء تشتكي الى أعظم الالهة البابلية « أنو » ، وطلبت منه أن يهب لها ثور السماء . وقد رفض « أنو » اجابة طلبها في أول الامر ، ولكن « اينا » هددت بانها ستعرض أمر ظلامتها على الالهة الاخرى فخف « أنو » ومنح « اينا » ما سألت وما حصلت الالهة على « ثور السماء » أرسلته الى مدينة الوركاء حيث يحكم البطل جلجامش ، فعات هذا الثور فسأدا في المدينة وأخذ يخرب ويدمر . فتدارك الامر « أنكيدو » صاحب جلجامش ، وهنا ينخرم النص من القصة . ولعل القصة ، قياسا على ملحمة جلجامش البابلية ، تنتهي بانتصار جلجامش على ثور السماء .

(٢) موت جلجامش (٥) :

وهذه مثل القصة الاولى ناقصة مخرومة لم يبق منها الا أجزاء يمكن تلخيصها على الوجه الآتي :- عزم البطل جلجامش على نشدان الخلود ،

(٥) انظر المرجع في الحاشية رقم ٣

(٦) انظر الحادثة المماثلة في ملحمة جلجامش البابلية في الرقيم السادس . « سومر » ، مج ٦ ، ع ١ (١٩٥٠) ، الص ٧٢ فما بعد .

في الكتابات السومرية وجود خمس قصص أخرى تدور على أعمال البطل جلجامش وما قام به من أعمال ومغامرات ، وقد استنتج منها انه على الرغم من ان « ملحمة جلجامش » البابلية لم يعثر لها على أصل سومري ترجمت أو حورت عنه الا ان بعض حوادثها ، كما ذكرنا ، يمكن ايجاد ما يوازيها في هذه القصص السومرية الجديدة ، واتضح كذلك ان البابليين الساميين لم يستعملوا جميع هذه القصص السومرية المتعلقة بجلجامش في انشاء القصص الخاصة بهم أو في دمجها في ملحمة جلجامش البابلية .

ان أجد وأحسن ما كتب عن هذه القصص الجديدة هو ما نشره الأستاذ « نوح كرامر » الاختصاصي باللغة السومرية وبالادب السومري (٣) .

وقد عنوانها بالعناوين الآتية :-

القصة الاولى « جلجامش وثور السماء » .
والثانية « موت جلجامش » ، والثالثة « جلجامش واجا » (٤) والرابعة « جلجامش والعالم الأسفل » والخامسة « جلجامش وأرض الحياة » . وتقدم الان عرضا لهذه القصص مقتصرين على التلخيص والايجاز في حالة نقصان الاصل وعدم كماله .

(٣) انظر :

S. N. Kramer, "Heroes of Sumer. A New Heroic Age in World Literature في مجلة :

Proceedings of the American Philosophical Society, vol. 90 (1946), 120 ff.

(٤) يلفظ الجيم في كل اسماء الاعلام الواردة في هذه القصص كما يلفظ باللهجة المصرية العامية .

وثانياً يمكن عي هذه القصة نوعاً من الرواية التاريخية أو شعر الملاحم التاريخي (Epic Poetry) وتحتوي من هذه الناحية على أخبار تاريخية قيمة عن الأوضاع السياسية في بداية نشوء الحضارة في وادي الرافدين : فهي تلتقي ضوءاً على نظام الحكم والنزاع الذي كان بين دول المدن التي ظهرت في العراق في عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق م) قبل نشوء الدول الكبرى الموحدة في العهد الأكدي الذي عتب عصر فجر السلالات . وهناك أمر ثالث يزيد في أهمية هذه القصة من حيث انها مثال حسن لنقد المصادر التاريخية ، ولا سيما ما يدعى في تاريخ العراق القديم باسم « ثبت الملوك

ولكن كيف يحصل على ذلك وقد أعلم أن الحياة الخالدة ليست له أي « ليست من نصيب البشر » ؛ وانه بدلاً من ذلك يستطيع أن يحصل على « الملوكية » و « المجد والعظمة » و « البطولة » في الحرب - كل هذه وغيرها قدرت له دون الخلود . ويلي ذلك موت جلجامش وما رثي به من قصائد الشعر ؛ ولكن الذي يؤسف له ان النص هنا غير كامل ولا يعلم مقدار ما نقص منه ، وعندما يصبح النص واضحاً نجد أن روح جلجامش تهبط الى العالم السفلي ، أي علم الأرواح حيث يصير جلجامش ملكاً على عالم الأرواح . وتنتهي القصيدة بالمديح والتناء على جلجامش والتسجيد بذكره .

(٣) جلجامش وأجا (صاحب كيش) (٧) :

هذه القصة من أقصر قصص الملاحم السومرية ، وهي مؤلفة من نحو ١١٥ سطراً ، ولكنها مع قصرها ذات خطورة وأهمية خاصتين ، فولا تقتصر هذه الملحمة على الحوادث البشرية أي انها تدور على أعمال البشر دون الآلهة بخلاف معظم القصص والاساطير^(٨) السومرية والبابلية التي هي اما أساطير تتعلق بأعمال الآلهة وشؤونها أو قصص^(٨) تناول أعمال البشر والآلهة معا .

ونوع نسميه بالاسطورة أو الاساطير ترجمة الكلمة "myth" . ولما لم يكن هذا موضوع بحثنا فانه يكفي أن نذكر اهم الفروق التي يجب ملاحظتها للتمييز بين هذين المصطلحين . فالقصص روايات عن حوادث تاريخية حقيقية وقعت في الماضي ولكنها رويت بلغة الخيال والرواية فوق فيها التحريف والتشويه ، أي أن القصص بكلمة مختصرة « حوادث تاريخية مشوهة » اما الاسطورة فهي خيال محض وضعت وضعا لتفسير ظواهر الكون والحياة وشؤون الانسان المختلفة . ولكي ندرك الفرق بين المصطلحين نسوق مثلاً على القصص في ملحمة جلجامش والطوفان البابلية ، وفي قصة « أجا وجلجامش » ، والمثل على الاسطورة اسطورة الخليقة البابلية وغيرها من الاساطير التي وضعت لتفسير ظواهر الكون ومظاهر العمران والحياة البشرية . ومع ان الاسطورة خيال محض الا أن محاولتها لتفسير ظواهر الكون والحياة تجعلها من المصادر الثمينة لعرفتنا باحوال الامم والشعوب المختلفة .

انظر البحث الذي نشره الاستاذ كرامر في مجلة :

American Journal of Archaeology, vol. LIII, No. 1 (1949).

(٨) سيمتضح مما سنذكره من التعليقات على بعض القصص والاساطير انه يجب التمييز بين نوعين في باب القصص والاساطير ، نوع نسميه بالقصص الذي نترجم به كلمة "legend"

(٧) انظر البحث الذي نشره الاستاذ كرامر في مجلة :

American Journal of Archaeology, vol. LIII, No. 1 (1949).

(٨) سيمتضح مما سنذكره من التعليقات على بعض القصص والاساطير انه يجب التمييز بين نوعين في باب القصص والاساطير ، نوع نسميه بالقصص الذي نترجم به كلمة "legend"

شك فيه الباحثون سابقا ، وفطنوا الى ان بعض هذه السلالات التي رتبت متعاقبة حكمت في الواقع متعاصرة .

أما وجه الخطورة السياسية في هذه القصة فهي انها تذكر لنا بوضوح انه كان في مدينة الوركاء مجلسان أو هيئتان سياسيتان كانتا مجلسين للشورى للبت في الامور الخطيرة التي تخص « دولة المدينة » . وكان أحدهما يتألف من شيوخ المدينة واعيانها « مجلس الشيوخ » ويتألف الثاني من الرجال الراشدين المحاربين « القادرين على حمل السلاح » . ومع اننا نجهل الشيء الكثير عن هذين المجلسين من حيث نظامهما وكيفية تأليفهما الا ان المرجح الواضح انهما كانا بمثابة مجلس شورى الدولة ، أي انهما كانا نوعا من الانظمة البرلمانية مما يوجد عادة في الانظمة الديمقراطية البدائية ولكنهما على كل حال يسموان على النظام الديمقراطي القبلي لانهما كانا في دولة سياسية (١٠) .

(١٠) انظر البحث اقيم الذي كتبه حول هذا الموضوع الاستاذ « جاكسون » في مجلة *Journal of Near Eastern Studies*, vol. II, No. 3 (1943), pp. 159 ff.

وسيجد القارئ معلومات ثمينة عن الانظمة التي نسميها ديمقراطية وتطورها وكيف ان الاتجاه السياسي في العراق القديم كان الى تجمع السلطة بيد الفرد الحاكم أو الملك . أما مصر مجالس الشورى التي ظهرت في العصور التاريخية القديمة فقد تطورت الى مجامع أو مجالس قضائية انحصرت مهمتها في شؤون القضاء ؛ وهناك من الادلة ما يشير الى ان المدن الكبيرة ، مثل بابل في زمن حمورابي ، كان فيها مجالس قضائية للنظر في القضايا الكبرى وقد فسرت حديثا بعض المواد في شريعة حمورابي انها تشير الى تلك المجالس التي وردت بصيغة « بوخرم » .

السومري (٩) . فيينا تنض القصة على تعاصر ملكين من ملوك عصر فجر السلالات وهما « جليجامش » صاحب « ارك » و « اجا » صاحب « كيش » ، يذكر ثبت الملوك الذي أشرنا اليه أن أول سلالة حكمت في العراق الجنوبي من بعد الطوفان هي سلالة « كيش » وان « اجا » الوارد ذكره في هذه القصة ملك من ملوك هذه السلالة ثم يذكر ثبت الملوك ان « الملوكية » انتقلت من بعد كيش الى الوركاء (ارك) ، ويذكر « جليجامش » من ملوك هذه السلالة . فمقتضى دلالة « ثبت الملوك » يخلص المؤرخ الحديث الى ان سلالة الوركاء الاولى جاءت من بعد سلالة كيش التي عتبت الطوفان ، أي ان سلالة الوركاء لم تبدأ في الحكم الا من بعد زوال سلالة كيش نتيجة الغزو العسكري . اما هذه القصة السومرية الجديدة فانها تعين لنا ان هاتين السلالتين حكمتا متعاصرتين أي في زمن واحد بخلاف ما يذهب اليه ثبت الملوك السومري الذي يجعل « اجا » آخر ملك من سلالة كيش و « جليجامش » خامس ملك من سلالة الوركاء . والواقع ان ترتيب كثير من السلالات الوارد في ثبت الملوك بهيئة متعاقبة قد

(٩) أي "Sumerian King List" وقد درسها الاستاذ « جاكسون » دراسة لعلها أحسن ما وضع الى الآن انظر كتابه *Jacobsen, The Sumerian King List* (1939).

ويعدد هذا الترتيب سلالات الملوك التي حكمت في العراق منذ اقدم العمود مما قبل الطوفان وملوك ما بعد الطوفان الى بداية سلالة أور الثالثة ، ويرجح ان زمن جمعها ووضعها يرجع الى هذا الزمن ، أي في حدود تلك السلالة .

امتساق الحسام وعدم الاذعان الى سلطان كيش ، فأجمع هذا المجلس على اعلان الحرب وأسهب اعضاؤه في مدح جلجامش وتفاؤلوا بالنصر ، فسر جلجامش سرورا عظيما وشرع يهنيء للحرب عدتها ، وعين للقيام بشؤون الحرب تابعه وصاحبه « انكيديو » وقد وثق بالنصر على « أجا » ملك كيش ، ولكن العاقبة لم تكن كما أمل « جلجامش » اذ استطاع « أجا » ملك كيش أن يضرب الحصار على مدينة الوركاء ، واسقط في أيدي أهل المدينة ، فانبرى أحد المحاربين من المدينة وتطوع على ان يذهب فيريك خطط « أجا » ، وتطوع شخص آخر على ان يذهب عنوة الى جند الاعداء . ومع أن موضع القصة هنا غير واضح من الوجهة اللغوية الا ان نتيجة الحصار كانت صلحا بين المتحاربين . وتنتهي القصة بخطاب القاه جلجامش اثني به على غريمه « أجا » ، ويلى ذلك مدح وتمجيد للبطل جلجامش . ونقدم فيما يأتي ترجمة لهذه القصة بالاستناد الى دراسة الأستاذ « كرامر » التي اشرفنا عليها (١١) .

- ١ - ٢ « جاءت رسل « أجا » بن « أنميرا جيزى » من كيش الى جلجامش في الوركاء
٣ - ٤ « عرض الامير جلجامش المسألة على شيوخ مدينته طالبا منهم الشورى وقال لهم : -
٥ - ٩ « أن تنجز حفر آبار البلاد ، جميع ما في البلاد من آبار

(١١) انظر :

S.N. Kramer, "Gilgamesh and Agga" in Amer. Jour. of Archaeology, vol. 43, No. 1 (1949), 7 ff.

تدور القصة على النزاع الذي وقع بين دولتي ديتين « كيش » و « الوركاء » فتشير القصة الى « أجا » ملك كيش أراد بسط سلطانه على دولة ينة الوركاء فأرسل وفدا الى أهلها يحصلون معهم را الى ملك المدينة « جلجامش » بالخضوع الى ت كيش ، والا فتكون العاقبة عليه وخيمة . ا بلغ هذا الوفد الانذار الى « جلجامش » جسع ا أولا مجلس شورى دولته المؤلف من شيوخ ينة وعرض عليهم الامر وحرضهم على قبول رب دون الرضوخ الى مطالب ملك كيش ؛ كن مجلس الشيوخ قرر عكس رغبة جلجامش ضوع دون الحرب (*) ؛ ثم جمع جلجامش لس المدينة الثاني المؤلف من الرجال المحاربين رض عليهم القضية محرضا ايهم كذلك على

(*) يوجد غموض واختلاف في ترجمة النص بلق بقصرار مجلس الشيوخ وهمل انه قرر سوع دون الحرب أو الحرب دون الخضوع . ند الاستاذ « كرامر » نفسه (مترجم القصة) لير في بحث نه في هذا الموضوع (انظر مجلة Proceedings of the American Philological Society, vol. 90, No. 2 (1941-25).

ان مجلس الشيوخ قرر بتحريض جلجامش ب دون الخضوع الى « بيت كيش » ولكنه في بحث نه كتبه من بعد ذلك في مجلة American Journal of Archaeology, ٨ 43; (1949) p. 5).

ان مجلس الشيوخ قرر الاذعان الى مطالب ر وليس الحرب . ويرى الاستاذ « جاكسون » مجلة

(JNES, II, No. 3) (1943), p. 159

ان مجلس الشيوخ رفض مطالب كيش ب جلجامش الى ما حرضهم عليه من عدم ان .

- ٢٣ « لا تخضعوا لبيت كيش • علينا أن نحارب
بالسلاح
٣٤ فأجاب « مجلس الرجال » جلجامش
٢٥ - ٢٧ « يا ايها القائمون ويا ايها القاعدون »
« ويا من ربوا مع ابناء الملك ، ويا ايها
الذين يسوقون الحمار
٢٨ - ٢٩ « ويا كل من فيه نفس الحياة ، لا
تخضعوا لبيت كيش ، لنحارب
بالسلاح ، (١٥)
٣٠ « ارك ، (المدينة) التي صنعها الآلهة
٣١ « اي - انا » (١٦) البيت المصور في السماء
٣٢ « ان الآلهة العظام هم الذين صوروا
الذي انجز الاعمال المحيطة لـ
« اينانا »

(١٥) يترجم الاستاذ « جاكسون » هذا
الموضع من الملحمة ترجمة تختلف عما ذهب اليه
الاستاذ « كرامر » ، فيرى الاستاذ « جاكسون »
أن معنى الاسطر من ٢٥ - ٢٨ هو أن جلجامش
عرض على مجلس الشورى المؤلف من الرجال
المحاربين وبين لهم أنه بينا تكون مطالب « أجا »
ملك كيش من شيوخ المدينة هو استعبادهم
وفرض الاعمال الزراعية عليهم فانه سيفرض على
الرجال المحاربين الاضطلاع بالاعمال العسكرية
خدمة لسيدهم الجديد • وانك ترجمة الاستاذ
جاكسون (ذات المصدر في الحاشية رقم ١١ ص ٥)

- ٢٥ - « ان نقوم بالاستعداد العسكري على
الدوام ، وان تفرض علينا الخدمة
العسكرية على الدوام
٢٦ - « أن نذهب مع ابن الملك في الغزوات
٢٧ - « وان نسوق الحمار على الدوام
٢٨ - « من له نفس (أي من يقوى)
للاضطلاع بذلك

(١٦) « اي - انا » هو المعبد الكبير في مدينة
الوركاء وقد كشفت عنه التنقيبات الحديثة التي
قامت بها البعثة الألمانية (١٩٢٨ - ١٩٢٩)

- أن تكمل حفر الآبار ، ونحفر التراب
ان نحفر الآبار وننجز « قتل »
الرجال » (١٢)
ينبغي ان لا تخضع لبيت كيش •
لنحارب بالسلاح
٩ - ١٠ « قتال مجلس شيوخ المدينة لجلجامش
وأجابوه
١١ - ١٤ « أن ننجز حفر آبار البلاد الخ (مثل
الاسطر ٥ - ٧)
« لنخضع الى بيت كيش ولا نحارب
بالسلاح
١٥ - ١٧ « ولكن جلجامش سيد « كلاب » (١٣)
« الذي انجز الاعمال المحيطة لـ
« اينانا »

- « لم يسرد كلام شيوخ مدينته
١٨ - ١٩ « فعرض جلجامش سيد « كلاب »
الامر مرة ثانية على « رجال » (١٤)
مدينته وطلب منهم الشورى وقال لهم :
٢٠ - ٢٢ « ان ننجز حفر آبار البلاد الخ (تكرار
للاسطر ٥ - ٧)

(١٢) تعدد القصة هنا جملة اعمال معناها أو
مدلولها الاصطلاحي غير واضح ، ولكن يمكن
اجمالها بأنها نوع من الاعمال القسرية مما يتعلق
بالارض من حفر الآبار والانهار وحرث الأرض
وهي أشياء يبدو أن « أجا » أراد فرضها على أهل
الوركاء على لسان رسله الذين بعثهم من كيش
الى جلجامش في الوركاء •

(١٣) من اقسام مدينة الوركاء •

(١٤) « رجال » المدينة هنا مصطلح خاص
المقصود منه « الرجال المحاربون » أي القادرون
على حمل السلاح •

امتساق الحسام وعدم الاذعان الى سلطان كيش ، فأجمع هذا المجلس على اعلان الحرب وأسهب اعضاؤه في مدح جلجامش وتفاؤلوا بالنصر ، فسر جلجامش سرورا عظيما وشرع يهيء للحرب عدتها ، وعين للقيام بشؤون الحرب تابعه وصاحبه « انكيديو » وقد وثق بالنصر على « أجا » ملك كيش ، ولكن العاقبة لم تكن كما أمل « جلجامش » اذ استطاع « أجا » ملك كيش أن يضرب الحصار على مدينة الوركاء ، واسقط في أيدي أهل المدينة ، فانبرى أحد المحاربين من المدينة وتطوع على ان يذهب فيربك خطط « أجا » ، وتطوع شخص آخر على ان يذهب عنوة الى جند الأعداء . ومع أن موضع القصة هنا غير واضح من الوجهة اللغوية الا ان نتيجة الحصار كانت صلحا بين المتحاربين . وتتمى القصة بخطاب القاه جلجامش اثنى به على غريمه « أجا » ، ويلى ذلك مدح وتمجيد للبطل جلجامش . وتقدم فيما يأتي ترجمة لهذه القصة بالاستناد الى دراسة الأستاذ « كرامر » التي اشرفنا اليها (١١) .

١ - ٢ « جاءت رسل « أجا » بن « أنميرا جيزى » من كيش الى جلجامش في الوركاء

٣ - ٤ « عرض الأمير جلجامش المسألة على شيوخ مدينته طالبا منهم الشورى وقال لهم : -

٥ - ٩ « أن ننجز حفر آبار البلاد ، جميع ما فى البلاد من آبار

(١١) انظر :

S.N. Kramer, "Gilgamesh and Agga" in *Amer. Jour. of Archaeology*, vol. 43, No. 1 (1949), 7 ff.

تدور القصة على النزاع الذى وقع بين دولتي ديتين « كيش » و « الوركاء » فتشير القصة الى « أجا » ملك كيش أراد بسط سلطانه على دولة -ينة الوركاء فأرسل وفدا الى أهلها يحملون معهم نرا الى ملك المدينة « جلجامش » بالخضوع الى ملك كيش ، والا فستكون العاقبة عليه وخيمة . لا بلغ هذا الوفد الانذار الى « جلجامش » جمع نا أولا مجلس شورى دولته المؤلف من شيوخ دينة وعرض عليهم الامر وحرصهم على قبول حرب دون الرضوخ الى مطالب ملك كيش ؛ كمن مجلس الشيوخ قرر عكس رغبة جلجامش نضوع دون الحرب (*) ؛ ثم جمع جلجامش نلس المدينة الثانى المؤلف من الرجال المحاربين نرض عليهم القضية محرضا اياهم كذلك على

(*) يوجد غموض واختلاف فى ترجمة النص هلق بقرار مجلس الشيوخ وهل انه قرر نضوع دون الحرب أو الحرب دون الخضوع . جد الاستاذ « كرامر » نفسه (مترجم القصة) كر فى بحث نه فى هذا الموضوع (انظر مجلة *Proceedings of the American Philological Society*, vol. 90, No. 2 (1946) 125.

ان مجلس الشيوخ قرر بتحريض جلجامش رب دون الخضوع الى « بيت كيش » ولكنسه ر فى بحث له كتبه من بعد ذلك فى مجلة *American Journal of Archaeology*, v. 43; (1949) p. 5).

ان مجلس الشيوخ قرر الاذعان الى مطالب نلس وليسن الحرب . ويرى الاستاذ « جاكسيون » فى مجلة

(JNES, II. No. 3) (1943), p. 159 f

ان مجلس الشيوخ رفض مطالب كيش ناب جلجامش الى ما حرصهم عليه من عدم عان .

- ٧٣ - ٧٢ « حتما انه ٠٠٠ وأن ناصيته ٠٠٠ وان وجهه »
- ٧٤ - ٧٥ « ان لحيته من اللازورد ، وان اصبع يده العظيم (٢٢) »
- ١٠٠ « قال جلجامش سيد « كلاب » لاجا (٢٣) »
- ١٠٢ « يا « أجا » يا قائدى ، يا « أجا » يا ولى (٢٢) يترجم الاستاذ « جاكسون » الاسطر ٦٧ - ٧٥ ترجمة تختلف ايضا عن ترجمة الاستاذ « كرامر » فسرى (ذات المصدر ص ١٧) ان الشخص الثانى الذى ارتقى سور المدينة هو سيد « برخوتورى » اى أن « برخوتورى » هو تابع « زبار ديونوجا » مثلما كان انكيديو تابع جلجامش ، ويرى ان فحوى هذه الاسطر ان « أجا رأى زبار ديونوجا » ، وان برخوتورى ناداه (أى نادى سيده) وعند ذلك سأل أجا « برخوتورى » هل أن سيده « مقسم الغلة » ، أى انه سأل هل الرجل الذى فوق السور هو جلجامش لأن مقسم الغلة « يعنى السيد أى الامير الحاكم الذى يوزع الطعام وهنسا يجيب برخوتورى أجا فى الاسطر ٧٠ - ٧٥ :
- ٧٠ « ان سيدي ليس مقسم الغلة » (أى ليس جلجامش) »
- ٧١ « وان كان بإمكان سيدي ان يكون مقسم الغلة »
- ٧٢ - ٧٣ « فان وجهه يمكن ان يكون وجه جلجامش المخيف . وان وجهه كوجه جلجامش يشبه وجه النور »
- ٧٤ « ولحيته يمكن ان تكون لحية جلجامش الزرقاء »
- ٧٥ « وان اصابعه يمكن ان تكون اصابع جلجامش »
- (٢٣) الاسطر ٧٦ - ٩٩ مجزأة مخرومة وغير واضحة فلم نحاول ترجمتها ، وتبدأ القصة من السطر ١٠٠ بالوضوح حين ينتهى النزاع بين جلجامش وأجا بالصلح بعد رضوخ جلجامش ومما يجدر ذكره هنا ان الاستاذ « جاكسون » يختلف مع الاستاذ « كرامر » فى هذا الامر فهو يرى احتمال ان النصر كان بجانب جلجامش دون « أجا » (ذات المصدر الص ١٨) .
- ١٠٣ « يا « أجا » يا قائد جيشي »
- ١٠٤ « انت يا « أجا » لقد أطعمت الطير الطائر بالحب »
- ١٠٥ « يا « أجا » انت الذى تعيد الهارب الى الراحة »
- ١٠٧ - ١٠٨ « وان « ارك » التى صنعها الآلهة ، وسورها الشاهق الملامس للسماء . »
- ١٠٩ « الموطن السامى الذى أسسه « آنو » »
- ١١٠ « لقد عنيت بها . انك ملك وبطل »
- ١١١ « يا مفلق الهام ، يا أيها الامير الذى يحبك « آنو » »
- ١١٢ « لقد اطلقتك « أجا » من أجل كيش »
- ١١٣ « لقد أعاد اليك أمام « اوتو » سلطتك السابقة »
- ١١٤ « يا جلجامش ، يا سيد « كلاب » »
- ١١٥ « ان حمدك خير . »
- (٤) **جلجامش والعالم الاسفل :**
- تعرف هذه القصة الرابعة من القصص السومرية الجديدة حول جلجامش بعنوان « جلجامش وشجرة الخلوبو » وقد سبق نشرها وتلخيصها فى « سومر » المجلد السادس العدد الثانى (١٩٥٠)
- (٥) **جلجامش وارض الحياة (٢٤) :**
- يتألف ما جاءنا من هذه القصة من نحو ١٧٤ سطرا ، ولكن الاصل أكثر من ذلك ولعله يحتوى على بضع مئات من الاسطر . وتشبه هذه القصة فى الفكرة ملحمة « جلجامش والطفوفان » البابلية من حيث ان الفكرة الاساسية فى كلتا القصتين (٢٤) انظر الدراسة والتلخيص فى المرجع الآتى :-
- S. N. Kramer, "Heroes of Sumer" in Proceed. of the Amer. Philos. Society, vol. 90 (1946), p. 126 ff.

وعبر بعون الاله « اوتو » الجبال السبعة التي تفصل
 « ارك » من « ارض الحياة » . اما ما حدث بعد
 ان اجتاز الجبل السابع (وهو الجبل الاخضر)
 فغير معروف لان النص هنا غير محفوظ حفظا
 جيدا . ثم تروى لنا القصة من بعد ذلك ان
 جلجامش وقع عليه سبات عميق لم يستيقظ منه
 الا بعد لأى وضياح وقت . ولما ان استيقظ ووجد
 نفسه انه أعيق بسبب ذلك السبات تحمس وتشجع
 وأقسم بامه الاله « نسون » وبأبيه « لوجال بندا »
 ليدخلن ارض الحياة غير مكترث بحارسها سواء
 أكان هذا بشرا أم الها . وهنا يتضرع اليه « انكيديو »
 ان يرجع من حيث أتى لان حارس غابة الارز هو
 الغول « خواوا » أو (خمبايا) ، وهو غفريت
 لا قبل لاحد ازاء هجومه وفتكه ، بيد ان جلجامش
 لم يصنع الى توسل صاحبه وتابعه « انكيديو » بل انه
 شجعه بانهما يستطيعان معا ان يتغلبا على الصهاب
 ولن يمسهما ضرر . ولما ان استطلع الغول « خواوا »
 من بيته في غابة الارز عمل على صد جلجامش
 وصحبه . وبعد نقص في الرواية نجد ان جلجامش
 يعصد سبع اشجار وانه اقترب من بيت « خواوا »
 وبلغ منه أقصى حجرة فيه وانه هجم عليه واستطاع
 باعجوبة ان يشل حركة الغول وتمكن منه .
 فيستسلم هذا ويتضرع الى مهاجمه ان يبقى عليه ،
 فيشفق عليه جلجامش ويقرر اطلاقه ولكن
 « انكيديو » يخشى العاقبة فينصح سيده بان لا يركن
 الى هذا الخطأ ، فيقرر البطلان أسر « خواوا »
 وتقديمه الى الاله « انليل » وزوجه « نليل »
 وهنا ينتهى ما جاءنا من القصة . ونقدم فيما
 يأتي ترجمة حرفية للقصة استنادا الى دراسة

على نشدان الخلود . فتروى لنا هذه القصة
 ربة الجديدة ان جلجامش فكر فى مصيره
 سيكون مثل مصير سائر البشر الفانين ، أى
 ان سيدركه عاجلا أم آجلا فارتأى انه اذا
 مات عليه نيل الخلود فانه يستطيع أن « يخلد
 ما » قبل ان تحل نهايته المحتومة ، لذلك عزم
 ان يسافر سفرا طويلا الى ارض بعيدة هى
 « ارض الحياة » التي سميت فى هذه القصة بـ
 « شجر الارز » ايضا . فأخبر تابعه وصاحبه
 « و » برغبته فأشار هذا عليه انه ان عزم على
 عليه ان يطلع الاله الشمس « اوتو » على
 عزمه لانه هو الاله الموكل بتلك الارض .
 جلجامش بمشورة صاحبه وقدم القرابين الى
 اوتو « وتضرع اليه ان يعينه ويسر له
 وحجه الى « ارض الحياة » أو « ارض
 » ؛ الا ان الاله الشمس يشك فى مبدأ
 ندره جلجامش على الاضطلاع بهذا الامر ،
 جلجامش من تضرعه ويلحف من سؤاله
 فيشفق عليه « اوتو » ويعده بالعون
 دة . ولعل أول شىء فعله الاله لتيسير
 لجلجامش انه شل فعل العفاريت السبعة التي
 ظواهر الطبيعية الجوية المخربة لثلاث عرقل
 جلجامش فى سفره وعبوره الجبال الواقعة
 لك . وبين « ارض الحياة » . فسر جلجامش
 عظيما وأخذ يعد العدة فجمع من أهل
 « خمسين رجلا تطوعوا لمرافقته ممن « لا
 رابطة اسرة وعائلة » وليس لهم « بيت
 » . وبعد ان اعد عدته من صنع اسلحة
 والخشب ليتسلح بها هو وصحبه بدأ بالسفر

- الاستاذ « كرامر » (٢٥) :
 « الى أرض الحياة أتجه السيد بفكره »
 « وجه جلجامش فكره الى أرض الحياة »
 « فقال لخادمه أنكيدو :
 « يا أنكيدو ! ما دامت النهاية المحتومة لم تحل بي
 بعد
 « لاذهب الى « أرض الحياة » واقم اسمي هناك
 « في المواضع التي خلدت فيها أسماء الالهة ،
 سأقيم اسمي
 « وفي المواضع التي لم تخلد فيها أسماء الالهة ،
 سأقيم أسماء الالهة واخذها »
 فاجابه خادمه أنكيدو !
 « اذا عزمت ياسيدي على دخول (تلك) الارض
 فاطلع على ذلك « أوتو »
 « اخبر « اوتو » ، البطلس « اوتو » . فان تلك
 الارض في حمى « اوتو »
 « ان ارض الارز هي في حمى البطلس « أوتو »
 فاخبر « أوتو »
 « فاخذ جلجامش بيده جديا ابيض ناصعا
 « ووضع على صدره جديا اسمر ليقرب قربانا» (٢٦)
 « ومسك بيده عصا الفضة وقال لاوتو السماوى :
 « يا « اوتو » لقد عزمت على دخول « الارض »
 فكن حليفي
 « عزمت على دخول أرض الارز ، فكن عضدي
 « فاجاب « أوتو » السماوى : انك حقاً . . .
 (٢٥) المصدر المذكور فى الحاشية رقم ٢٤
 الص ٨
 (٢٦) لقد جاءتنا نماذج من الرسوم والصور
 وهي تمثل بعض الملوك والابطال حاملين القرايين
 من الحيوانات على صدورهم .
- ولكن ما شأنك وتلك الارض ؟
 « فاجاب جلجامش يا « اوتو » اريد أن اكلمك
 كلمة فاصح السمع لكلمتى
 « اريد ان اكلمك ، فسمع كلامى »
 « فى ارضى يعوت الانسان وهو كسير القلب
 حزينه
 « يقضى الانسان وهو موجع القلب »
 « لقد اعتليت السور فهالنى ان رأيت اجسام الموتى
 طافية فى النهر »
 « أما انا فسيكون مصيرى هكذا .
 « والرجل ، مهما بلغ طوله ، أيستطيع ان يبلغ
 السماء !
 « والرجل ، مهما بلغ حجمه ، أيستطيع أن يغطى
 الارض !
 « وما دامت النهاية المحتومة لم تحل بعد
 « فقمى عزمت على دخول « الارض » لاقم هناك
 اسمى
 « فى المواضع التي لم تخلد فيها « الاسماء » ،
 سأقيم اسماء الالهة .
 « فتقبل « اوتو » دموعه قربانا
 « ورأف به ورحمه كالانسان الرحيم »
 (يلى ذلك جملة اسطر (من ٣٦ - ٤٩)
 ناقصة غير مفهومة ، وعندما يصير النص واضحا
 نجسد جلجامش يستعد للسفر الى ارض الحياة
 ويجمع حوله الانصار والصحب منتخبا اياهم
 ممن لا يرتبطون بروابط الاسرة) :-
 « من كان له بيت فليذهب الى بيته ، ومن كان
 له أم فليبق مع امه »
 « ليقم الى جانبي خمسون رجلا اعزب وليتبعونى

- « حيثما سرت وفعلت »
 « فمن كان له بيت بقى فى بيته ، ومن كانت له
 أم بقى مع امه »
 « وقام الى جانبه خمسون ذكرا اعزب وتيموه »
 « وقصد بيت الحداد واوصاه ان يصنع له الفأس
 المنعوتة بـ « قوة الشجاعة »
 « وقصد الى بستان السهل ، وقطع منها شجرة
 الـ •• وشجرة الصفصاف ، والتفاح وشجرة
 البقس »
 « وعاونه فى ذلك ابناء مدينته الذين رافقوه »
 « وشارفوا الجبال • واجتازوا أول جبل »
 « وعندما اجتازوا الجبل السابع •• لم يضع
 جلعامش الوقت فى الجولان »
 « وشرع السيد جلعامش يعضد اشجار الارز
 ويسقطها »
 (يلى ذلك ثمانية اسطر مشوهة لا تصلح
 للترجمة ويلى ذلك السطر ٧٣)
 « لقد حركه فلم يستيقظ • وكلمه فلم يجيب »
 « يا أيها الراقد ، يا أيها النائم • يا جلعامش
 يا أيها الامير ، يابن « كلاب » كم سيطول
 رقادك ؟ »
 « لقد اظلمت الارض وانتشرت الظلال عليها •
 وجاء الفسق بنوره »
 « وذهب « اوتو » رافع الرأس الى حضن امه
 « ننجال » (٢٧)
 « يا جلعامش الى متى ستظل راقدا »
- « لا تدع ابناء مدينتك الذين صججوك ، يقفون
 بعيدين عنك فى سفح الجبل »
 « لا تدع امسك التى ولدتك تساق الى حارة
 المدينة (؟؟) »
 « فاصفى الى كلامه والبس نفسه « بكلمة
 بطولته » كما يلبس الجلباب
 « وارتدى جلبابه ذى الثلاثين « شيقلا »
 « ونهض كالثور ووقف على الارض العظيمة •
 وضع فمه على رغام الارض واصطكت اسنانه
 وقال :
 « وحياة الالهة « نسون » ، امى التى ولدتنى
 من ابى الطاهر « لوكال بندا » (٢٨)
 « عسانى اجلس فى حضن امى التى ولدتنى
 وابعث العجب فى كل من نظر الى «
 « وكرر القول عليه وقال :
 « وحياة « نسون » ، أمى التى ولدتنى من ابى
 الطاهر « لوكال بندا »
 « حتى ابلغ مرادى ؟؟؟ من يمعنى ••••
 ان كان انسانا •••• »
 « حتى اصل ؟•• من يمعنى ••••؟ ولو كان
 الها •• »
 « لقد قادتنى خطاى الى « ارض الحياة » فلن ارجع
 الى المدينة »
 « فاستعطفه الخادم الوفى ••• وقال لسيدة :
 « ياسيدى لانتك لم تر « ذلك الرجل » لم يدخل
 الخوف الى قلبك »

(٢٨) لقد جعلوا البطل جلعامش أن أمه
 الالهة هي « نسون » واباه بشر هو « لوكال بندا »
 ولذلك صار مركبا من ثلثين من مادة الالهة
 وثلث من البشر

(٢٧) المقصود بذلك غياب الشمس ، ويكون
 ذلك بذهاب الاله الشمس « اوتو » وبالسامية
 « شمش » الى حضن امه العظيمة ، الالهة الارض
 « ننجال »

- « ولكنني ، انا الذي رأيت « ذلك الرجل » فدخلني
منه الرعب »
- « اجل ! فلأبطل « خاوا » اسنان كاسنان
« التين »
- (١٣٤)
- « ووجهه وجه اسد . و . . . يشبه ماء الطوفان
الجارف »
- « وحياة أمي « نسون » التي ولدتنى من ابى
الظاهر « لو كأل بندا »
- « اننى اعرف بيتك فى ارض الحياة
.....
- « وأخذ ابناء مدينته الذين رافقوه يقطعون تاجها
ويحزمونه ووضعوه فى سفح الجبل
- « وبعد ان اقتطع الشجرة السابعة اقرب من
حجرته (أى حجرة خاوا)
- « فاصطكت اسنان « خاوا » وارتجفت يداها
- « . . . اريد ان اقول لك كلمة . . . اننى لا
اعرف أما ولدتنى ولا اعرف الاب الذى ربانى
- « ان الارض المرتفعة (الجبل) هى التى
ولدتنى ، وانت سترينى (٢٩)
- « فأقسم جلعامش بحياة السماء والارض وحياة
الارض السفلى . ومسكه بيده وقال له « لا
تسجد لى وتتضرع ، لان قلب جلعامش
عطف عليك
- « وقال لخادمه انكيدو :
- « ليذهب الطير الحيس الى موضعه طليقا . ليرجع
الاسير الى حضن امه ،
- فاجاب انكيدو جلعامش وقاله له :
- « ان من لم يتحل بالحكمة مهما بلغ طوله سيئلمه
- (٢٩) هنا يتضرع الفول « خاوا » الى
جلعامش ليبقى عليه ولا يقتله
- « واذى رأيت « ذلك الرجل » فدخلني
منه الرعب »
- « اجل ! فلأبطل « خاوا » اسنان كاسنان
« التين »
- (١٣٤)
- « ووجهه وجه اسد . و . . . يشبه ماء الطوفان
الجارف »
- « وحياة أمي « نسون » التي ولدتنى من ابى
الظاهر « لو كأل بندا »
- « اننى اعرف بيتك فى ارض الحياة
.....
- « وأخذ ابناء مدينته الذين رافقوه يقطعون تاجها
ويحزمونه ووضعوه فى سفح الجبل
- « وبعد ان اقتطع الشجرة السابعة اقرب من
حجرته (أى حجرة خاوا)
- « فاصطكت اسنان « خاوا » وارتجفت يداها
- « . . . اريد ان اقول لك كلمة . . . اننى لا
اعرف أما ولدتنى ولا اعرف الاب الذى ربانى
- « ان الارض المرتفعة (الجبل) هى التى
ولدتنى ، وانت سترينى (٢٩)
- « فأقسم جلعامش بحياة السماء والارض وحياة
الارض السفلى . ومسكه بيده وقال له « لا
تسجد لى وتتضرع ، لان قلب جلعامش
عطف عليك
- « وقال لخادمه انكيدو :
- « ليذهب الطير الحيس الى موضعه طليقا . ليرجع
الاسير الى حضن امه ،
- فاجاب انكيدو جلعامش وقاله له :
- « ان من لم يتحل بالحكمة مهما بلغ طوله سيئلمه
- (٢٩) هنا يتضرع الفول « خاوا » الى
جلعامش ليبقى عليه ولا يقتله
- « فاجاب جلعامش خادمه « انكيدو » وقال له
« لا اريد ان يموت فى سبيلى رجل آخر . ان
القارب المحمل لن يفرق (؟؟)
- « ولن يقطع الثوب ذى الطيات الثلاث . . . ولن
يطغى على ؟؟ ولن تخرب البئر البيت والكوخ (؟؟)
- « أعنى اعنك ! فما عسى ان يحدث لنا ؟ بعد ان
غرقت سفينة « مجان » (؟؟)
- « بعد ان غرقت السفينة العظيمة . . . وفى . . .
فى قارب المخلوقات الحية وضع اولئك الذين
خرجوا من الرحم »
- « هلم ! لنسر قدما . ولننظر اليه (أى خاوا)
شزرا
- « واذا سرنا الى الامام وصادفنا الخوف والرعب ،
فدر الى الخلف
- « من ؟؟ لا يعيش بسلام . ان « خاوا » . . .
بيته فى اشجار الارز

القدر (٣٠) (نبتار) . ان نبتسار لا يعرف الفروق والميزات .
 . واذا ما رجع الطير الحبيس الى موضعه ، واذا عاد الاسير الى حضن امه
 . فإلت لن ترجع الى مدينة الام التي ولدتك فاجاب « خواوا ، انكيدو : تكلمت عنى بالشر يا « انكيدو »
 . وعندما قال هكذا قررا مصيره . لقد حبسناه واجلسناه على الجسد والقماش وادخلناه الى حضرة « انليل » و « نليل »
 (. . . . البقية ناقصة)
 ٢ - اساطير تدور حول « التنين » وقتله :
 « كور » و « تيامة » : من المصطلحات السومرية بالعامية التي يصعب ادراك معناها كلمة « كور » . فمن الوجهة اللغوية تعنى هذه الكلمة فى معانيها الاساسية « الجبل » ، يدل على ذلك ان العلامة المستعملة فى ذلك تمثل الجبل فى شكلها الصورى واشتق من هذا المعنى الاساسى لكلمة « كور » معنى « الارض الاجنبية » و « الارض المعادية » وقد جاء هذا المعنى من حقيقة ان الاقاليم الجبلية المجاورة لبلاد سومر كانت تهدد السومريين على الدوام . وتعنى « كور » ايضا « البلاد » بوجه عام ، فتوصف بلاد سومر بعبارة « كور جال » أى « الارض العظيمة » . ولكن تعبير كلمة « كور » السومرية الى هذه المعانى التى ذكرناها عن فكرة تتعلق بالكون والعقائد اللاهوتية التى تدور حوله ، ويبدو انها من هذه الناحية تطابق (٣٠) ولقد جسموا القضاء والقدر وسموه نبتار ، أى الذى يقطع أو يبيت فى المصير أو الحظ

كلمة « كيجال » (اى الارض السفلى العظيمة) ، ولذلك اصبحت مثل « كيجال » تعنى « العالم الاسفل » . ويظهر معناها كذلك فى بعض القصائد التى تصف العالم الاسفل وعلى رأس ذلك « نزول عشتار الى العالم الاسفل » وقصيدة « جلجامش وانكيدو والعالم الاسفل » (٣١) . فان الكلمة المستعملة فى هذه القصص للعالم الاسفل أى عالم الاموات هى « كور » على الدوام . وهكذا فان « كور » تعنى فى معناها الكونى الفراغ الذى تصوروه بين الارض الظاهرة وبين البحر الاسفل (وهى ينابيع المياه الكونية الاولى) . ويبدو ان السومريين تصوروا مخلوقا وحشا هائلا يسكن فى قعر العالم الاسفل فوق البحار السفلى وانهم دعوه « كور » ايضا . ويحتمل كثيرا ان هذا الوحش « كور » يطابق ما ورد فى قصة الخليفة البابلية « تيامة » (٣٢) . وتوجد ثلاث اساطير سومرية تدور على « كور » ، بمعناها الكونى اللاهوتى ، وتكون « كور » مثل « تيامة » على هيئة وحش غريب الحلقة هو « التنين » الذى تصوروه البابلون ، والذى تدور عليه قصة الخليفة البابلية ويشير وجود هذه القصص السومرية الى ان القصة البابلية ترجع فى أسسها وأصولها الى (٣١) انظر جلجامش وشجرة « الخلبو » فى « سومر » المجلد السادس العدد الثانى (١٩٥٠) (٣٢) الالهة « تيامة » التى تمثل جزءا من المياه الاولى وهى المياه الملحة . كما ان الابسو يمثل المياه الأولى العذبة ، وقصد جسم هذان العنصران على هيئة الهة واله . وبعد القضاء على ابسو وتيامة خلق الاله مردوخ من جسم « تيامة » السماء والأرض (انظر قصة الخليفة البابلية فى « سومر »)

ونحن لا نكون بعيدين عن الصواب لو افترضنا ان اسس الاساطير البشرية الاخرى التي تدور على خرافة «التنين» ، من يونانية ومسيحية ترجع الى المصدر السومري البابلي .

ونشرع الان بتلخيص هذه القصص السومرية الثلاثة التي قلنا انها نماذج لاسطورة التنين . فالاولى بطلها الاله السومري الشهير الاله الماء « انكى - ايا » الشهير (٣٥) . وبطل الثانية الاله « نورتا » وهو يشبه الاله السابلي « مردوخ » الشهير الذى قام بدور بطل الالهة فى قصة الحليمة البابلية فى قتله التنين « تيامة » . اما القصة الثالثة فبطلتها « اينانا » ، التى تقابل عشتار البابلية . وتشترك هذه القصص الثلاث مع اختلاف ابطالها فى أن كلا منها تدور على قتل «تنين» ورد اسمه على هيئة « كور » . اما كيف تصور السومريون شكل هذا التنين فلا يعرف على وجه التأكيد ، فقد خلب لنا السومريون والبابليون صوراً مختلفة عن هذا المخلوق الاسطوري . ويبدو فى قصتين من هذه القصص وهو بهيئة الثعبان الكبير يعيش فى قعر العالم الاسفل حيث يلامس هذا الجزء من الكون المياه السفلى الواقعة تحته . وتبين لنا احدى هذه الاساطير انه بعد قتل «التنين» ظهرت تلك المياه الى وجه الارض وتعذر بذلك نمو أى نوع من النبات والحضار .

« انكى » و « كور » :

ان القصة الاولى التى يكون البطل فيها الاله

(٣٥) يقابل الاله « انكى - ايا » من الالهة اليونانية « بوزيدون » وهو اله البحر ويقابله عند الرومان « نبتون »

الاساطير السومرية . ولذلك فان العثور على هذه القصص السومرية يعد اكتشافاً خطيراً (٣٣) وان اثنتين منها لم تكن معروفة ابداً .

ومما تجدر ملاحظته قبل تلخيص هذه الاساطير السومرية ان فكرة « قتل التنين » لم تقتصر على اساطير العراق القديم . فان جميع الاقوام والشعوب تقريباً لهم قصص واساطير تدور على «التنين» وقله . وفى الادب اليونانية توجد اساطير لا تحصى عن «التنين» وقله ويكون ابطالها من الالهة والابطال البشر على السواء . ويكاد كل بطل من ابطال الاساطير اليونانية قد قام بقتل التنين الخاص به . واشتهر فى هذه الاساطير بطسلان هما « هيرقل » و « برسوس » (٣٤) . وعزيت المسيحية تلك القدرة البطولية الى القديسين ، كما تدل على ذلك اسطورة « القديس جورج والتنين » وتوجد قصص كثيرة تضاهي هذه القصة . ان هذه القصص التى عمت عند اكثر الاقوام والشعوب مهما اختلفت اسماء ابطالها وتفاحيل حوادنها الا انها ترجع فى اسسها الى اصل واحد . ولما كانت قصة «التنين» وقله من الاساطير المهمة فى الادب السومرية فى الالف الثالث ق.م فتكون اقدم نماذج لهذا النمط من الاساطير ،

(٣٣) لخص هذه القصص الاستاذ كرامر فى S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Chap. III, pp. 76 ff.

(٣٤) (Heracles) و (Perseus) ويكتب الأول

أيضاً بـ (Hercules) وهو أشهر الأبطال الأسطوريين

عند اليونان وابن « جوبترو » و « الكمينه »

(Alcmene) واشتهر البطل الثانى بانه ذبح التنين

« مدوسا » وخلص « اندروميديدا » من ذلك

الوحش البحرى .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

« كور » وبارك في تلك التي كانت الى جانبه .
وتنتهى القصيدة بترتيل طويل في التسيح بالاله
« نورتا » .

« اينانا » و « كور » :

اما القصة الثالثة من رواية ذبح « التين »
فهي قصيدة تتألف من ١٩٠ سطرا (٤٣) وبظلة
القصة ، كما ذكرنا ، هي الالهة « اينانا » (واسمها
البابلي عشتار) ، وقد نعتت في بعض التراتيل
الدينية بانها « قائلة كور » وهو نعت يتضح معناه
من هذه الاسطورة الثالثة ويدعى « كور » هنا
بجيسل « ابه » (Ebil) وهو اقليم يرجح انه
الى الشمال الشرقي من بلاد سومر ، ويمثل
« كور » في هذه الاسطورة ارضا معادية ،
ولا يمكن تعيينه بـ « كور » الذي قلنا انه يمثل
المياه السقلى الوارد في القصتين الاوليين أى قصة
« انكى وكور » وقصة « نورتا وكور » . وتبدأ
القصة في ترتيل طويل في مدح فضائل الالهة
« اينانا » ويعقب ذلك خطاب توجهه « اينانا » الى
الاله السماء (آن) ، وتطلب اينانا ان يخضع لها
« كور » والا فانها ستهلكه وانها ستوجه عليه
الاسلحة وتحرق غاباته وتجعل مياهه تجف وتفيض
وتقضى على جميع الحياة فيه . فيجيبها « آن » ويعود
لها المساوىء التي عملها « كور » تجاه الالهة
وكيف انه احل الرعب في مواطنها وجرأ على
الهجوم على بلادها وسلط النار على جميع البلاد

(٤٣) انظر تلخيص القصة في :

S. N. Kramer, *Sumerian Mythology*, p.
82-83.

وانظر ذات المصدر ص ١١٨ الحواشى رقم ٧٧
و٧٨ و٧٩ حول المراجع والنشر الأخرى

« وامتلات بها الاهراء وتكدست كاللالل »
« وعمل الاله على ازالة الحزن من البلاد »
« وطيب قلوب الالهة »

وعندما علمت « نماغ » (٤١) ام الاله « نورتا »
باعمال ابنها المجيدة ، امتلا قلبها بحبه وصارت
لا تهدأ ولا تستقر حتى تعذر عليها النوم فى
حجرتها المقدسة . واشتاق لرؤية ابنها الذى
تأجج حبه فى قلبها ، ولذلك ارسلت الى « نورتا »
تستعطفه فى ان يسمح لها ان تزوره وتمتع عينها
برؤياه . فنظر اليها « نورتا » « بعين الحياة »
وقال لها

« يا نماغ لانك لاجلى عزمت على دخول ارض
غريبة »

« يا ايها السيدة لانك عزمت على المجئ الى ارض
معادية »

« لانك لم تخشى هلع القتال الذى يحيط بى »
« لذلك فليكن اسم التل الذى كدسته ابى البطل »
« خرساك » (٤٢) ولتكونى ملكته »

ثم بارك « نورتا » فى الجبل « خرساك » وجعله
ينتج جميع انواع النباتات والعنب وينتج العسل
وانواع الاشجار والذهب والفضة والبرونز
والماشية والغنم وجميع انواع الحيوان من « ذوات
الاربع » . وبعد ان بارك فى « خرساك » رجع الى
الاحجار ولعن منها ما كان عدوا له فى قتاله مع

(٤١) الالهة نماغ وتدعى ايضا « نماغرساك »
وننتو ولعلها بالاصل « كى » وهى الارض

(٤٢) لقد سبق ان قلنا ان اسم نماغرساك
نماغرساك ايضا ، وخرسك معناه « الجبل »
ومعنى نماغرساك سيدة الجبل « أو ملكة الجبل »

وقد دونت في لوح من الطين مقسم الى ستة حقول ويرجع في تأريخه الى العهد البابلي القديم (النصف الاول من الالف الثاني ق م) ، ووجد في تنقيبات جامعة بنسلفاية في نهر قبل نحو (٥٠) عاما وهي الان في متحف « الشرق القديم » في استنبول ومما يؤسف له انها بحالها الحاضرة ناقصة مخرومة ينقصها الحقل الاول والاخير . اما ما بقي منها فيبلغ نحو (٢٠٠) سطر ، ومع الصعوبات المألوفة في النصوص الادبية السومرية فان فحوى الاسطورة ومعانيها الاساسية هي كما ذهب اليه مكتشفها ونشرها ، الذي عنوانها بناء على ما جاء فيها بعنوان « اينانا وشوكالتودا » . وبما ان الحقل الاول من الاسطورة مخروم فلا يعرف كيف بتبدي . . . وأول ما نجده من النص الواضح ان شخصا كان عنده غراب علمه كيف يقوم ببعض الاعمال المفيدة ، ومع ان طبيعة تلك الاعمال غير معروفة الا ان القصة تدل على انه بنتيجة اطاعة الغراب لتنفيذ أوامر سيده امتلأت بستان الملك وقصره بانواع خاصة من اشجار النخيل ، وامتلأت بانمارها معابد الالهة العظيمة . وتخبرنا القصة ان فلاح بستان اسمه « شوكالتودا » قد حلت به الكوارث حيث تعذر عليه انجاز اعماله المألوفة في البستان ، وانه مهما اعتنى بالحرث وبالارواء فان اشجاره قد حل بها اليبس ، وان الرياح السافية الهوج قد هبت وضربت وجهه « بتراب الجبال » ، وصار كل ما يعنى به من زرع يؤول الى الخراب . فالتجأ هذا البستاني الى الالهة « ورفع عينيه الى آلهة الشرق وآلهة الغرب » وأخذ يتفهم النذر وعلامات الفأل ليعرف منها مشيئة الالهة واراقتها فيعمل بموجبها ؛

ويذكر لها الاله « آن » قوة « كور » وثروته ويحذر « اينانا » من الهجوم عليه . ولكن ذلك لم يش من عزم « اينانا » ، ففتحت « بيت القتال » وأخرجت منه اسلحتها واطلقتها لمهاجمة « كور » ، فانقضت عليه وبعد ان قتله اعتلت فوقه وتتهى القصة بخطاب فخر القته الالهة وهي معتلية جسم غريمها الذي قتله .

٣ - بلاء من السماء في الاساطير السومرية :

تروى لنا التوراة ان من بين البلايا العشر التي ساطها الله على المصريين لرفض الفرعون السماح لبني اسرائيل بالخروج من مصر كان « بلاء من الدم » (٤٤) ، والى ذلك اشار القرآن الكريم ايضا (٤٥) . فقد حول الله ، بموجب التوراة ، مياه مصر دماء . وكانت هذه الفكرة أى فكرة بلاء الدم تعد الى ما قبل سنين قليلة مقتصرة على رواية التوراة وان آداب الامم القديمة في الشرق خالية منها ، اذ لم يعثر على أثر لها في آداب الحضارات القديمة ، كالادب المصري القديم والادب السومري والبابلي والفنيقي والحي .

ثم اكتشف حديثا الاستاذ « كرامر » اسطورة سومرية جديدة تتعلق بفكرة « بلاء » الدم (٤٦) ،

(٤٤) (سفر الخروج ، الاصحاح السابع ١٤ فما بعد)

(٤٥) (الاعراف الآية ١٢٩ - ١٣٢) حيث تنص الآية الاخيرة على ذلك : « فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » .

(٤٦) وقد نشرها في مجلة

Archicoriental, vol. 17 (1949) pp. 399 ff.

وقد اعتمدنا على هذا البحث في تلخيص هذه الاسطورة

تاليه .
بالاله

ين «
طللة

سها
اتيل

معناه
عنا

انه
ل

،
ثل

ة
دا

ة
ن

ما
ه

،
.

والاعاصير المدمرة ، اما البلاء الثالث فلا يعرف نوعه لان اللوح هنا مكسور غير كامل . ولكن الالهة « اينانا » مع تسليط هذه الانواع من البلاء لم تستطع ان تعثر على الذى اعتدى عليها . اذ تروى القصة ان البستاني « شو كالتودا » كان يذهب الى بيت ابيه بعد كل وباء يحل في البلاد ويخبره بالحضر المحرق به ويسأله العون فينصحه الاب في كل مرة بنصيحة واحدة وهي ان يذهب الى اخوانه وبني قومه « ذوى الرؤوس السود » (*) ، وان يلازم مراكز العمران والمدن في بلاد سومر ، فيتبع « شو كالتودا » نصيح ابيه ولم تفلح « اينانا » في العثور عليه في « البلاد الغربية » ، ولما ادركت انها لا تستطيع وحدها أن تأثر لنفسها عازمت على الذهاب الى مدينة « اريدو » ، الى بيت الاله « انكى » ، الى الحكمة السومرية لتسأله النصيح والعون . ولكن يكسر الرقيم هنا فلا يعرف كيف تنتهي القصة .

المرجع المذكور في الحاشية ٤٦ الص ١٨) :
« طلع اليوم فنظرت المرأة (أى الالهة) وجلة الى « اوتو » المشرق (أى الشمس)

« تطلعت « اينانا » فزعة . فزمت المرأة على التخريب من أجل عورتها . من أجل عورتها صممت على ان تفعل . لقد ملأت آبار البلاد بالدم . لقد غمرت بالدماء احرش النخيل والاشجار . وصار الحادم اذا جاء للاكل لا يجد غير الدم . وصارت الامة اذا جاءت لتسقى الماء لا تملأ الا بالدم ، ولم يستطع ذوى الرؤوس السود ان يشربوا الا الدم . وقالت الالهة ان الذى انتهكنى ساجده في البلدان الاجنبية ، ولكن لم تجد الذى اعتدى عليها في البلدان الاجنبية » .

(*) المفروض ان المقصود بهؤلاء هم سكان بلاد سومر أى السومريون .

وبعد ادرك بالبصيرة والحكمة ارادة الالهة غرس في بستانه شجرة سميت في الاسطورة باسم يتعذر تعيينه ومعرفته وقد وصفت بانها « واسعة الظل » ، فاستطاع بذلك ان يزرع في ظلها انواع الاشجار فازدهرت هذه الاشجار نتيجة هذا الاختراع الجديد في فلاحه البستنة (٤٧) .

ثم تروى لنا الاسطورة انه حدث في احد الايام ان الالهة السومرية « اينانا » بعد ان ساحت في السماء والارض وفي القطرين المجاورين لبلاد سومر (عيلام وشو بوبور) ، تعبت فاضطجعت بجسمها المتعب في موضع قريب من بستان الفلاح « شو كالتودا » فراها هذا البستاني واتتهز فرصة رقادها فاتتهك جرمتها . ولما احست « اينانا » في الصباح غضبت غضبا شديدا ، فعزمت على اوفاء ذلك البشر الذى اجترأ على الاعتداء عليها ، فسلطت على البلاد (أى بلاد سومر) ثلاثة انواع من البلاء والعقوبة ، فملأت اولا يتابع البلاد وآبارها بالدماء (٤٨) ، ثم سلطت على البلاد الرياح

(٤٧) هذا الموضع من الاسطورة في غاية الاهمية من الناحية الحضارية اذ يشير الى نشوء هذا النوع الجديدة في فن البستنة في العراق القديم ، وهو زرع بعض الاشجار المثمرة ، كالبرتقال في الوقت الحاضر ، في ظلال الاشجار الكبيرة . والذى نعلمه من الوثائق المسمارية عن النخيل ان سكان العراق الاقدمين كانوا يستعملون المسافات التى يتركونها بين نخلة واخرى لغرس بعض الاشجار المثمرة التى لا تحتاج الى حرارة الشمس القوية .

(٤٨) بالنظر لاهمية الموضع الخاص بفكرة « بلاه الدم » المشابهة لما ورد في التوراة ندرج هنا نص الترجمة عن الاستاذ « كرامر » (فى

ثانياً : - تعليقات واستنتاجات :

١ - الطوفان :

ذلك من قضايا ومسائل شغلت تفكير الانسان منذ أقدم العهود . واذا كانت طبيعة البحث على هذا الوجه من التشعب والتعميد فاننا سنحصر تعليقاتنا في بعض المسائل الرئيسة الاساسية أى اننا سنحصر بحثنا في أبرز المسائل التى تدور عليها تلك الاساطير ومن بين هذه المسائل الاساسية (١) - الطوفان (٢) - عالم ما بعد الموت وقضية العالم الآخر (٥١) (٣) - الالهة وما يتعلق بذلك من آراء وعقائد (٤) - فكرة الشيطان (٥٢) (٥) - النواحي السياسية والاجتماعية . ولاننا لا نستطيع ان نعالج هذه المسائل جميعها فى هذا العدد فاننا سنتناول فى هذه الدراسة القضية الاولى من هذه القضايا وهى الطوفان

الطوفان فى القصص والاساطير المختلفة :

سنتقسم البحث عن الطوفان الى قسمين يتناول القسم الاول منه الروايات المختلفة عن الطوفان مما جاءنا من آداب العراق القديم ونشفع ذلك بالقسم الثانى من هذا البحث وهو يتناول ما نعرفه عن تاريخية الطوفان أى الحقائق التاريخية عن الطوفان . ولعل أول شيء يلفت اليه نظر الباحث فى قصص الطوفان هو كثرتها ووجودها عند أقوام وأمم كثيرة فى مختلف الأزمان والامكنة . وقد استنتج بعض الباحثين من الدراسات الموازنة (٥٣)

(٥١) وهو ما يعرف فى علم الاديان بـ Eschatology (انظر القسم الثانى من هذه التعليقات)

(٥٢) أى Demonology.

(٥٣) انظر James Frazer, Folklore in the Old Testament

المشار اليه فى Harold Peake, The Flood (1930), pp. 14 ff.

وفيه تلخيص هذه القصص المختلفة .

بعد ان قدمت فى الأعداد السابقة من « سومر » وفى هذا العدد ايضا اشهر وأهم ما جاءنا من القصص والاساطير من آداب العراق القديم نشرع ابتداء من هذا العدد بعرض بعض الاستنتاجات المهمة من تلك القصص والاساطير نتناول فيها أهم القضايا والمسائل التى ألفتها فيما يتعلق بشؤون الكون والحياة المختلفة ؛ فالواقع ، كما ذكرنا فى بعض الأعداد السابقة من سومر ، تعد هذه القصص والاساطير من أهم المآخذ والمصادر عن أحوال أولى الحضارات البشرية وسواء أكانت هذه اساطير (٤٩)

اخترعها خيال البشر لتفسير حوادث الكون ومسائله الكبرى أم قصصاً (٥٠) تستند الى حوادث واقعية ولكنها وضعت بأسلوب الرواية والخيال ، فانها على السواء تعكس لنا نواحي خطيرة عن الفكر البشرى فى مراحل تطوره الحضارى . والواقع من الامر ان هذه النواحي متعددة كثيرة بحيث يصعب على الباحث ان يستقصيها ويستنفذ جميع امكانيات الاستنتاج والدرس من تلك القصص والاساطير ؛ فهناك نواحي العقائد الدينية من طبيعة الالهة وتصور الانسان لها وعلاقتها بالبشر وفكرة العقاب والثواب والحساب ، ومسئلة الروح والنفس ، وكيف نشأت فكرة الشيطان وكيف تطورت ، وقضية الدفن والعادات المتبعة فيه ؛ وهناك الأوضاع الاجتماعية التى تزخر بها تلك الاساطير ، الى غير

(٤٩) Myths. (انظر الحاشية (٨)

ص ٣)

(٥٠) Legends. (الحاشية (٨) ص ٣)

وتوضع في اطار اسطوري ، ومن ذلك ما نعتده في قصة الطوفان البابلية والعبرانية وهما القستان اللتان قلنا عنهما انهما تشابهان تشابها كبيرا ، ويبلغ التشابه في بعض حوادثهما حد التطابق تقريبا ، الامر الذي يدل على انهما روايتان لحادثة واحدة سنبحث عن مكان وقوعها في القسم الثاني من هذا البحث ؛ اما الان فيكفي ان نذكر ان هنالك اعتبارات خطيرة تجعل علاقة الرواية العبرانية بالرواية البابلية أمرا يكاد يبلغ مرتبة اليقين على الرغم من شك بعض الباحثين (٥٥) . اما هذه الاعتبارات فأهمها : (أولا) سيتضح مما سنذكره عن الامور الاساسية في روايات الطوفان البابلية التشابه الوثيق بين هذه الروايات (ولا سيما ملحمة جلجامش والطوفان) وبين رواية العهد القديم . (ثانيا) قدم الروايات الآتية من العراق القديم على رواية التوراة من ناحية زمن التدوين وكذلك الزمن الذي نشأت فيه . (ثالثا) الاتصالات التاريخية الواضحة بين العبرانيين وبين البابليين سواء كانت هذه الاتصالات في العصور التي سبقت عهد السبي البابلي (القرن السادس ق.م) أو في هذا العهد فما بعد (رابعا) ونرد على من يستعد ارجاع اصل رواية التوراة الى الروايات البابلية (٥٥) بالاستناد الى الفروق بين الروايتين في بعض المواطن والتفصيلات الثانوية بقولنا ان هذه الفروق بين الروايتين في بعض المواطن وفي بعض التفصيلات انما تؤيد ذلك الاتصال أكثر مما تبعده ، ذلك لان سنة الانتشار في العناصر الحضارية من قوم الى قوم هو التحوير والتعبير لاسباب كثيرة

(٥٥) لا اعرف من هؤلاء سوى

Alexander Heidel, *The Epic of Gilgamesh* (1947).

أن قصص الطوفان منتشرة في قارة آسية وجزر المحيط الهادي وفي كلتا القارتين الأمريكيتين (فيما قبل العهد الاوربي) ، ولكنها قليلة بوجه نسبي في قارة أوربة وأقل منها في القارة الافريقية . وما يلاحظ في هذه القصص ، الى كثرتهما ، ان أكثرها يختلف بعضها عن بعض اختلافات اساسية ، ويبلغ الاختلاف في بعضها انها لا تشابه فيما بينها الا بمجرد ذكر الطوفان ؛ وستجد مما سنذكره بعد قليل ان أكثر هذه القصص تشابهها هي القصص السومرية - البابلية ورواية العهد القديم (التوراة) ؛ وقد امكن تصنيف هذه القصص والاساطير المختلفة الى الصنفين الاساسيين اللذين اطلقنا عليهما صنف الاساطير (myths) وصنف القصص (legends) (٥٤) ، حيث فرقنا بين مفهومى هذين المصطلحين ، وللتطبيق على ما يراد بكل مصطلح من هذين المصطلحين من قصص الطوفان واساطيره نقول ان بعض هذه الروايات عن الطوفان اساطير ، مثل الاساطير الاغريقية والمفولية ، وضعت وضاها خيالها اسطوريا لتفسير بعض قضايا الكون والحياة ومن ذلك ما يخص الطوفان لتفسير العوارض الارضية الطبيعية كالمخفضات الواسعة في البلاد التي وضعت فيها تلك الاساطير . ان هذا الصنف يرجح انه أقل من الصنف الثاني الذي هو قصص كانت بالاصل وقائع حقيقية حدثت في طيات الماضي البعيد فتوقفت بالرواية وشوهت معالمها التاريخية واسبغ عليها صفة الاسطورة . ومن ذلك بعض الحوادث المهمة التي تؤثر في حياة الشعوب تأثيرا بالغيا فيبالغ فيها

(٥٤) انظر الحاشية رقم ٨ الص ٣

بشر؟ وكذلك عزم الالهة « انكى » ، اله الحكمة و « صديق البشر » على انقاذ حبيبه وصفيه « زيو سدرا » فأخبره بما ستفعله الالهة وعلمه كيف يخلص نفسه من الطوفان . ونجد مثل ذلك بحسب رواية الطوفان البابلية (ملحمة جلجامش ، الرقيم الحادى عشر ، الاسطر ١٤-١٩) حيث قرر « الالهة العظام » احداث الطوفان . وقام الاله « ايا » فى هذه القصة بدور منقذ البشر فهو الذى افشى سر الآلهة الى « اوتو - نيشتم » واوصاه أن يصنع الفلك . وبعد هدوء الطوفان وعندما قدم « اوتو - نيشتم » القرابين للآلهة أخذت الآلهة « عشتار » والاله « ايا » يوبخان الاله « انليل » (اله الزوابع والامطار والجو) على انه هو الذى احدث الطوفان . وموجز القول ان الآلهة هم الذين احدثوا الطوفان فى الارض . وتتفق التوراة فى ذلك مع الفسارق طعنا بين الشرك البابلي والوحدانية العبرانية . ولكن لماذا احدثت الآلهة الطوفان؟ واذا ما وازنا هنا بين ما جاء فى « ملحمة جلجامش » وما جاء فى التوراة فى سبب احداث الطوفان وجدنا اتفاقا ضمينا؟ ولكن السبب فى التوراة اوضح منه فى ملحمة جلجامش . فالسبب فى التوراة هو فساد البشر وعدم اطاعته لارادة خالقه . فقد فسدت الارض امام الله وامتلات شرا بسبب الانسان . الخ » (سفر التكوين ٦ ، ١-١٣) ؛ اما فى ملحمة جلجامش فان السبب لا يبدو بهذا الوجه من الوضوح ، فقد جاء فى الرقيم الحادى عشر السطر ١٤ ان « الآلهة العظام قد حثتهم قلوبهم على ان يحدثوا طوفانا » وقد يستتج من هذا وحده ان الطوفان حدث اعتباطا

منها ان تلك التغيرات تحدث لتلائم روح حضارة القوم الذين ينقلون عن غيرهم و (خامسا) نعتقد ، كما سنحاول ان نبين فيما بعد ، ان هذا الطوفان الورد فى الروايات السومرية والبابلية وفى رواية التوراة انما وقع فى ارض العراق وليس فى مكان آخر كموطن العبرانيين . وعلى ضوء ما قدمناه من التخصيص المختلفة عن الطوفان عند السومريين والبابليين^(٥٦) نوجز الان المسائل المهمة الواردة فيها عن الطوفان^(٥٧) .

من احدث الطوفان ولماذا ؟

تخصص الكتابات المسمارية التى تدور على روايات الطوفان آلهة مختلفة بصفتها هى التى سببت الطوفان . وفى القصة السومرية (سومر مج ٦ ، ع ٢٤ ، الص ١٦٨) احدث الطوفان « مجلس الالهة » أى الالهة جميعهم عندما عزموا على محو البشر . وقد شذ منهم فى ذلك المجلس الالهة « نتو » ، التى حزنت وناحت على مصير

- (٥٦) نعدد هنا ما سبق نشره من القصص والاساطير التى جاء فيها خبر الطوفان :
- (١) ملحمة جلجامش (سومر ، مج ٦ ، العددان ١ ، ٢ لسنة ١٩٥٠)
 - (٢) الرواية السومرية (رواية زيوسدرا) (سومر مج ٦ ، ع ٢ ، ص ١٦٨ فما بعد)
 - (٣) قصة سامية صغيرة غير كاملة (سومر ، مج ٦ ، ع ٢ الص ١٧١)
 - (٤) ملحمة « اتراخاسيس » (سومر ، مج ٦ ، ع ٢ ، الص ١٧١ فما بعد)
 - (٥) رواية « برعوشا » (سومر ، مج ٦ ، ع ٣ الص ١٧٧ فما بعد)
- (٥٧) لقد اعتمدت فى تلخيص هذه المسائل المهمة على المرجع المذكور فى الحاشية رقم (٥٥) الص ٢١ .
- (٥٨) الالهة « ننتو » هى الهة الولادة ، ويرجح انها تطابق الالهة « اينانا » السومرية وعشتار البابلية .

من بعد الطوفان ؛ وجاء اسم بطل الطوفان في ملحمة « جلعامش » بصيغة « اوتو - نبشتم » ، والمرجح ان هذا الاسم ترجمة للاسم السومري « زيوسدرا » حيث يعنى اسم « اوتو - نبشتم » ، على ما يرجح ، « الذى رأى الحياة » أو « الذى وجد الحياة » (٦٠) ، اشارة الى حصوله على الحياة الخالدة . واسمه فى ملحمة « اتراخاسيس » (٦١) « اتراخاسيس » ، ومعنى اسمه « المتبحر بالحكمة » وجاء اسمه فى رواية بروعشا بعدة صيغ اشهرها « خسوثروس » ويرجح ان جميعها ترجع الى اسم « زيوسدرا » (٦٢) . ومما تجدر الاشارة اليه بهذا الصدد ان جميع هذه الاسماء التى سُمى بها بطل الطوفان البابلى تشير فى معناها الى حادثة الطوفان أى الى ما عاناه البطل وحصل بسببه على الخلود الذى يشير اليه اسمه . وبالموازنة مع هذه الاسماء نذكر اسم بطل الطوفان فى التوراة وهو « نوح » ومعنى اسمه « الراحة » وهو معنى لا يشير الى تلك العلاقة الواضحة الموجودة بين اسماء أبطال الطوفان فى الروايات البابلية

(٦٠) انظر :

Alexander Heidel, *op. cit.*, p. 227 and note 5.

(٦١) « سومر » مج ٦ ، ع ٢ ، الص ١٧١ فما بعد

(٦٢) حول ملخص رواية برعوشا انظر

سومر مج ٦ ، ع ٢ ، الص ١٧٧ فما بعد . ومن الطريف ذكره بهذا الصدد ان بعض الباحثين يرون ان اصل اسم « الحضر » الوارد فى المآثر العربية من « خاسيستر » محرفا من اتراخاسيس انظر مجلة :

Zeitschrift für Assyriologie, vol. VIII, (1893), p. 267-8.

عن هوى من الآلهة ، ولكننا لو انعمنا النظر فيما ورد فى القسم الخاص بالطوفان من ملحمة جلعامش وبوجه خاص فى القول الذى وجهه « ايا » الى الاله « انليل » الذى كان الفاعل الرئيسى فى الطوفان وجدنا ان سبب الطوفان هو آثام الانسان وخطاياها ؛ فقد لامه فى انه حشر الناس جميعا المذنب منهم والبرىء فى عقاب الطوفان (٥٩) . وتشبه بداية القصة المعروفة بملحمة « اتراخاسيس » (سومر ، مج ٦ ، ع ٢ ، الص ١٧١ فما بعد) بداية الاسحاح السادس من سفر التكوين حيث جاء فيها (فى ملحمة اتراخاسيس) أن البشر كثروا وملأوا الارض وازدهروا واحدثوا فيها الخلبه والضجيج فازعجوا الاله « انليل » و « حرموه من الزوم » ، فلاسكتهم عمدا الى ارسال الوباء تلو الوباء ولما لم تجد الوبئة نفعا سلب الاله « انليل » الطوفان ليفنى به البشر جميعهم .

اما عن بطل الطوفان أى « نوح الطوفان » عند البابليين فتختلف المصادر المسمارية فى تسميته وتشخيصه . فالقصة السومرية من نفر (سومر ، مج ٦ ، ع ٢ ، الص ١٦٨ فما بعد) تسميه « زيوسدرا » ومعنى اسمه : « الذى حصل على الحياة الطويلة » ، اشارة الى انه حصل على الحياة الخالدة

(٥٩) نثبت هنا خطاب الاله « ايا » بالنظر

لاهميته فى تاريخ العدل . جاء فى الرقيم الحادى عشر المسطر ١٧٧ - ١٨١ ما يأتى : « فتح ايا فاه وقال مكلما « انليل البطل » : يا ايها البطل يا اعقل الآلهة ، كيف جاز لك ان تحدث هذا الطوفان بلا ترو ؟ فلتحمل المذنب وزر خطيئته وحمل المعتدى اثم اعتدائه . لا تفرط فى الشدة فى عقاب المذنب فتهلكه ولا تلتن له فيفلت من زمامه » .

بالذات بان « يقوض بيته » ويتخلى عن ملكه
وينبئ له فلكا وصف له ابعاده وهيته لينجو به
وامره ان يدخل فيه « بذور الاحياء جميعها ،
(الرقيم الحادى عشر ١٩ - ٣١) . ويظهر مما
جاء فى الرقم الحادى عشر (١٧٠ - ١٨٧) أن
الاله « ايا » برر افشاءه سر الالهة بانه لم يخبر
« احدا من الفانين » وانما أرى « اوتو - نبشتم »
حلما عرف منه ذلك الحكيم عزم الالهة . ويخبرنا
برعوشا فى روايته عن الطوفان ان الاله
« كرونوس » (وهو الاله ايا) ظهر الى بطل
الطوفان فى الرؤيا وانذره بالنازلة الحاله . ويستبان
من رواية جلجامش أن الالهة التى سببت الطوفان،
و « انليل » بوجهه خاص ، عزمت الاتدع حيا
من البشر ينجو من تلك الكارثة .

وعلى العكس من ذلك نجد فى رواية الطوفان
فى التوراة ان نوحا اوصاه الله بصنع الفلك
بالاوصاف التى بينها له ، وان هذا الاخبار كان
عن قصد من عند الله بخلاف الروايات البابلية
التي تنص على ان احد الالهة افشى سرهم خلافا
لما اعتزموه . وثمة وجه لخلاف آخر بين الروايات
البابلية وبين رواية التوراة وهو أن بطل الطوفان
فى التوراة انذر قومه مدة طويلة ليطيعوا اوامر
الله واحكامه ، ولما لم يرتدع البشر عن غيهم سلط
الله عليهم الطوفان . اما الروايات البابلية فليس فيها
ما يستشف منه ان بطل الطوفان البابل انذر
قومه بل انه على العكس اضلهم ، اذ نقرأ فى
ملحمة جلجامش أن « اوتو - نبشتم » لما سأل
الاله « ايا » ما عسى ان يخبر قومه عندما يبنى الفلك
اوصاه الاله بان يموه عليهم ويضلهم عن الغرض

وبين حادثة الطوفان . وتجعل ملحمة جلجامش
« اوتو - نبشتم » بانه ابن « اوبارا - توتو » .
ومع أن بطل الطوفان بحسب رواية برعوشا كان
عاشر ملك من الملوك الذين حكموا قبل الطوفان
فان ملحمة « جلجامش » لا تذكر عن « اوتو -
نبشتم » انه كان ملكا أو حاكما أو كاهنا بل انه
كان من اهل « شروباك » (٦٣) ، وانه كان رجلا
كثير المال والغنى . ويتشابه كلا البطلين فى المآثر
البابلية وفى رواية التوراة فى ان كلا منهما كان
يتصف بالصلاح والتقوى ، وانهما قريبا من بعد
الطوفان الى الالهة . وتفرد بطل الطوفان البابل
بانه حصل على الخلود حيث صار فى مصاف
الالهة .

أما كيف علم بطل الطوفان البابل بعزم الالهة
على احداث الطوفان فان ذلك قد تم باخبار بعض
الالهة له ولكن بطريق رمزى غير صريح .
فمثلا رأى « زيو سدرا » (بحسب رواية الطوفان
السومرية) حلما غريبا « لم ير مثله من قبل » ،
فتضرع الى الالهة ان يفسروه له ، فسمع هاتفا
أمره ان يقف بجانب حائط واسر اليه أن « مجمع
الالهة » قد عزم على احداث الطوفان . ولعل
ذلك الهاتف اخبره كذلك بان يبنى له سفينة .
وكان الاله « ايا » ، بحسب رواية جلجامش ،
هو الذى افشى سر حدوث الطوفان الى « اوتو -
نبشتم » أما طريقة الاخبار فكانت ان الاله كلم
« كوخ القصب » . ثم اخبر « اوتو - نبشتم »

(٦٣) واسم خرائبها اليوم فاره الى الشمال
الغربى من الوركاء بنحو ١٨ ميلا وهى على مجرى
الفرات القديم .

الحقيقي ؟ فاستعمل في ذلك نوعا من التورية (٦٤) والذي يجدر ذكره بصدد انذار الالهة للبشر ان احدى الروايات السومرية عن الطوفان (ملحمة اتراخاسيس) تشبه رواية التوراة في مسألة ذلك الانذار ، حيث نقرأ فيها ان الالهة سلطت على البشر قبل الطوفان انواعا مختلفة من الاوبئة وسلطت التحفظ والمجاعة كل ذلك ليكفسوا عن ارتكاب الاعمال التي لم تعجب الالهة . والى ذلك فان الخبر « اتراخاسيس » تضرع الى الاله ايشفع للبشر عند « انليل » فشفع لهم هذا . ولكنهم عادوا فازعجوا الالهة بما تسميه الملحمة بـ « الضوضاء » والضحيج وعندها قرر انليل في مجلس شوري الالهة افناء البشر بالطوفان .

صفة سفينة الطوفان ومن ركب فيها :

ورد اسم سفينة الطوفان البابلي ، مل بطل الطوفان ، بهيات مختلفة باختلاف تلك الروايات فقد جاءت في الرواية السومرية باسم يعنى المصدر فى :

(٦٥) بالسومرية (magurgur) انظر

Alexander Heidel, *op. cit.*, p. 232, note 10.

(٦٦) أى (ékallu) من السومرية (é-gal) (انظر المرجع فى الحاشية رقم ٦٥) .
(٦٧) وما يجدر ذكره بهذا الصدد ان سفينة نوح سميت فى التوراة باسم خاص هو « تيبيا » ، وهى الكلمة نفسها التى استعملت لصندوق القصب الذى وضع فيه موسى بحسب رواية التوراة (الخروج ٢ : ٣ - ٥) . وقد اختلف فى اشتقاق هذه الكلمة العبرانية فمنهم من يرى انها ذات صلة بالكلمة البابلية « طبيتو » التى تعنى سفينة حمل عميقة الغور ومنهم من يرجعها الى اصل مصرى (من الكلمة المصرية (il b't) التى تعنى الصندوق أو الصندوق المستعمل للدفن أى التابوت العربية التى هى من هذا الاصل على ما يرجح .

(٦٤) ونورد هنا نص المحاوراة (ملحمة جلجامش ، الرقيم الحادى عشر الاسطر ٣٢ - ٤٧) « ولما ادركت ذلك قلت لـ « ايا » ربى ، اجل يا ربى كل ما امرتنى به سامجده واعمل به . ولكن بماذا ساجيب المدينة والناس والشيوخ ؟ ففتح « ايا » فاد وقال مخاطبا اياى ، انا عنده : مكذا قل لهم : لقد علمت ان انليل يكرهنى ، فلن استطيع العيش فى مدينتكم بعد الان ، ولن اوجه وجهى الى ارض انليل . بل سانزل الى « الابسو » واعيش مع « ايا » الهى ، اما انتم فسينزل عليكم مطرا مدرارا . . . وفى المساء سيمطركم الموكل بالزوايع مطرا من قمح (والتورية فى كلمة قمح حيث تستعمل فى البابلية كلمة مشتركة تعنى قمحا وهلاكاً) » .

مقدار ازاحتها ٢٢٢٥٠٠ طنا (٦٩) . اما رواية برعوشا فتذكر ابعادها بـ (٣٠٠٠) قدم للطول واكثر من (١٢٠٠) قدم للعرض ، ولكن لم يبين ارتفاعها ، وهذه ابعاد مبالغ فيها حيث تكون السفينة بموجبها سفينة هائلة .

وبعد أن أكمل « أوتو - نبشتم » صنع سفينة ادخل فيها جميع ما يملك . و « بذور المخلوقات جميعها » وادخل فيها « اهل بيته وذوى قريته ، وحيوان البرية ووحوشها وملاحه وجميع الصناع » (الرقم الحادي عشر الاسطر ٨٠ - ٨٥ ٩٤ - ٩٥) ويرجح كثيرا ان المقصود باهل الصناعة هنا اهل الفن والمعرفة ويذكرنا هذا بما جاء في رواية برعوشا من ان الآلهة امرت بطل الطوفان « خسوثروس » بان « يكتب اصل جميع الاشياء من ابتداءها ومنتصفها ونهايتها » اي يدون معارف البشر وان يدفن هذه الكتابات في مدينة « سبار » ، لكي يحفظ وصايا الآلهة وتعاليمها والعلوم والمعارف الى الاجيال التي ستأتي من بعد الطوفان . ومما تمتاز به الروايات البابلية عن الطوفان بصدد من ادخل في السفينة انها تتفق كلها في كثرة هؤلاء ، ويشير الرقم الحادي عشر من ملحمة جلجامش (السطر ٦٤) ان الحيوانات التي ادخلها أوتو - نبشتم « الى سفينة كانت من آكلة الحشائش . وعلى العكس من هذه الكثرة الواردة في الروايات البابلية قلة البشر الذين ادخلهم نوح الى سفينة فكانوا ثمانية اشخاص وهم نوح وابناؤه الثلاثة وزوجته وزوجات ابناؤه الثلاثة وادخل فيها الحيوانات والطيور (من كل نوع ذكر وانثى) وتفق التوراة مع بعض الروايات البابلية

كانت تتألف من حجرات واجزاء كثيرة لم تعين في التوراة ، ولكن كان لها ، مثل سفينة « اوتو - نبشتم » باب وكوة في سقفها لعلها للضوء وانها ملطت بالقار أو الزفت من الداخل لئلا تترشح اليها المياه . وتروى لنا كذلك ملحمة جلجامش ان « اوتو - نبشتم » هيا كذلك القار والزفت ، ومع انه لم يرد في النص الغرض من ذلك الا ان الواضح انه استعملها لتزفيت السفينة ويؤيد ذلك أن برعوشا يروى ان الناس كانوا يحصلون على القار من قسطه من سفينة الطوفان من بعد ذلك الحادث .

وقد يكسون من الممتع ان نبحت في شكل السفينة في الروايات البابلية وروايات التوراة . اما سفينة نوح فيبدو من قياساتها ووصفها أنها كانت مستطيلة الشكل مسطحة القعر وان مقدمها ومؤخرها مربعان وان جانبيها مستويان وكان ذراعها ثلثمائة ذراع طولا وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا (التكوين ٦ : ١٥) . واذا كان المقصود بهذه الذراع هي الذراع العبرانية الاعتيادية أي حوالي ١٨ انجا (٦٨) فتكون ابعاد سفينة نوح بالوجه الاتي : الطول ٤٥٠ قدما والعرض ٧٥ قدما والارتفاع ٤٥ قدما وتكون ازاحتها نحو ٤٣٣٠٠ طنا . اما سفينة « اوتو - نبشتم » فكانت مكعبة كل بعد من ابعادها الثلاثة ١٢٠ ذراعا بابليا (الذي يعادل نحو ٢٠ انجا) فتكون الـ ١٢٠ ذراعا نحو ٢٠٠ قدم ويكون

(٦٨) ومقدارها من طرف الاصبع الوسطى الى المرفق .

(٦٩) Alexander Heidel, *op. cit.*, 236.

والارض . وجاء في ملحمة جلجامش ان الطوفان بدأ في المساء بمطر مدرار واعقبته في الصباح زوابع هائلة استمرت ستة ايام وست ليال . وبعد عدد من الايام لم يعين خرج « اوتو - نبشتم » ومن معه من السفينة . ومما يجدر ذكره بهذا الخصوص ان رواية « برعوشا » غفلت من تعيين مدة دوام الطوفان . وينذهب الباحثون في العهد القديم الى ان روايات التوراة عن الطوفان مأخوذة من مصدرين متناقضين (٧٣) . فموجب المصدر الاول (أي القانون الكهنوتي) (٧٣) بدأ الطوفان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني وانهى في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني من السنة التالية ، أي انه دام مدة عام واحد وأحد عشر يوماً . وبحسب المصدر الثاني (الرواية اليهودية) بعد مطر دام اربعين يوماً وليلته فتح نوح كوة السقف واطلق اربعة طيور على الولا ، كل طير من بعد مدة سبعة ايام ، ومن ثم رفع غطاء السفينة فرأى أن اليابسة قد ظهرت ، أي ان الطوفان دام بموجب ذلك نحو واحد وستين يوماً (٧٤) . وتتفق روايات التوراة وروايات الطوفان البابلية في ان الطوفان كان

(اتراخاسيس الكسرة الثالثة) في ان الحيوانات والمخلوقات الاخرى انما جاءت الى السفينة طوعاً أي ان الله ارسلها .

كيف حدث الطوفان وكم دام ؟

اذا ما رجعنا الى رواية التوراة والى الروايات البابلية المختلفة وجدنا شبه اتفاق في كيفية حدوث الطوفان . فبحسب التوراة كان مصدر الطوفان من امطار غزيرة هائلة من السماء ومن تفجر ينابيع الماء السفلى (سفر التكوين ٧ : ١١ - ١٢) . ويشبه هذا ما جاء في الروايات السومرية والبابلية ، فقد حدث الطوفان من زوابع الامطار والرياح الكثيرة والاعاصير المصحوبة بالرعد والبرق ، والى هذا المصدر انكسرت سدود المياه كما يفهم من ملحمة (جلجامش ، الرقيم الحادي عشر الاسطر ٩٠ - ١٣١) (٧٠) . وورد اسم الطوفان في التوراة بهيئة « مَبُول » (٧١) . ولا يعلم بوجه التأكيد هل لهذه الكلمة صلة بالكلمة البابلية المستعملة للطوفان (أي ابوبو) (٧٢) . وملخص القول ان مصدر الطوفان كان من الامطار ومن مياه الانهار أو من مياه الينابيع السفلى بحسب رواية التوراة .

وتخبرنا الرواية السومرية عن الطوفان ان الطوفان استمر في الارض سبعة ايام وسبع ليال ظهر من بعدها الاله الشمس وتشر ضوءه على السماء (٧٠) السطر ١٠٢ من الرقيم الحادي عشر يشير بوضوح الى ان الاله « ننورتا » ، اله الحرب والاله الموكل بالابار وسدود الانهار قند كسر السدود .

mabbûl. (٧١)

(٧٢) بالسومرية amaru وبالبابلية abûbu.

وهو اسم الطوفان البابلي .

(٧٣) اظهرت الدراسات النقدية للتوراة أن خبر الطوفان ، الوارد في سفر التكوين ، هو ، كما ذكرنا ، مأخوذ من مصدرين متناقضين جمعاً معاً وقد اطلق الباحثون على احد هذين المصدرين اسم «القانون الكهنوتي» (Priestly Code) ويطلقون على المصدر الثاني اسم الرواية اليهودية نسبة الى اسم الله « يهوه » (Yahwistic Narrative)

انظر

Alexander Heidel, *op. cit.*, p. 245.

(٧٤) يختلف في هذا التفسير المرجح

المذكور في الحاشية رقم (٧٣)

واطلق حمامة أخرى لم ترجع اليه الا قرب المساء مما يدل على انها وجدت موضعا تحط فيه وعندما عدت جلبت معها بمنقارها غصن زيتون كان طريا اقتطف ثوا وبعد سبعة ايام أخرى اطلق نوح حمامة ثالثة فلم ترجع اليه (التكوين ٨ : ١٢) ، فكان ذلك اشارة على ظهور اجزاء كثيرة من اليابسة .

وتذكر ملحمة جلجامش ان سفينة « اوتو -

نبشتم » استقرت على جبل « نصير » . واذا كانت قراءة أسم هذا الجبل صحيحة فيعني اسمه « جبل الخلاص » . وقد جاء اسم هذا الجبل أو

سلسلة الجبال في أخبار بعض الملوك الاشوريين ومنهم الملك « آشور ناصر بال » الثاني (٨٨٣ -

٨٥٩ ق م) وتشير هذه الاخبار الى ان موقعه جنوب الزاب الاسفل ، ويعينه بعض الباحثين بما

يعرف الان (بير عمر غودرون) الذي يناهز ارتفاعه زهاء الـ ٩٠٠٠ قدم (٧٥) . ويروي

برعوشا ان الجبل الذي استقرت عليه السفينة هو جبال « الكردي » ، وهذه هي جبل

« الجودي » الذي جاء ذكره في التران الكريم بنه الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح وهو المذكور

ايضا في الروايات السريانية في الجزء الجنوبي من ارمينية . اما رواية التوراة فلم تحدد موضع

الاستقرار بالضبط بل تذكره انه جبل من جبال « اراراط » . و « اراراط » هي « اورارطو »

الواردة في الاخبار الاشورية والتي تعني اقليم ارمينية وليس أسم جبل معين . وبناء على الرأي

شديدا وان سحب الامطار والامطار والزوابع قد عمت السماء والارض . وتذكر ملحمة جلجامش ان الآلهة انهزمت الى اعلا نقطة في السماء وتروى التوراة شدة الطوفان ايضا حيث عم وجه الارض وغطى الجبال العالية حتى انه ارتفع فوقها خمس عشرة ذراعا ، وقد هلك جميع الاحياء على سطح الارض وجميع البشر وحتى اطياف السماء ولم يسلم الا نوح ومن كان معه في الفلك ويستتج من كلتا الراويتين ان الطوفان كان عاما شاملا .

موضع استقرار السفينة :

تروى لنا ملحمة جلجامش ان « اوتو - نبشتم »

بعد ان استقرت السفينة على جبل « نصير » اطلق حمامة ليعرف هل انحسرت المياه عن وجه

الارض ، ولما لم تجد الحمامة موضعا تحط فيه عادت اليه وبعد فترة لم يعين مقدارها اطلق طير « السنونو »

فرجع « السنونو » كذلك للسبب نفسه ، وأخيرا ارسل غرابا فطار الغراب وأكل ولم يرجع اليه .

ولما ان ظهرت اليابسة قرب « اوتو - نبشتم » القرايين الى الالهة (الرقيم الجادي عشر السطر ١٥٢

فما بعد) . وتذكر لنا رواية « برعوشا » كذلك خبر اطلاق الطيور في ثلاث مرات ولكنها لا تذكر

لنا انواع هذه الطيور . اما سفر التكوين فيصف لنا مشهد اطلاق الطيور بوجه التفصيل . فكان

الغراب أول طير ارسله نوح (الاصحاح ٨ : ٧٥) وظل هذا الطائر يحوم حول السفينة الى أن ظهرت

اليابسة أي انه لم يرجع الى السفينة . وبعد سبعة ايام ارسل نوح حمامة ولما لم تجد

الحمامة موضعا تحط فيه رجعت الى السفينة فأخذها نوح وادخلها الى السفينة ؛ فانتظر سبعة ايام أخرى

(٧٥) انظر المراجع في :

Alexander Heidel, *op. cit.*, p. 250, and note 55.

العهد الذي عاهد الله به نوحا . فتذكر التوراة أن تلك العلامة كانت « قوس قزح » . ويرى بعض الباحثين (٧٦) وجه شبه بين علامة العهد هذه وبين ما قالته الالهة عشتار بشأن الطوفان حيث رفعت قلاذتها الزرقاء المنظومة من حجر اللازورد الازرق كأنها علامة العهد (٧٧) .

تأريخية الطوفان البابلي :

لعل اول شيء نستنتجه مما اورده من المقارنات بين الطوفان كما جاء في روايات الطوفان البابلية وبين ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم هو ، كما ذكرنا سابقا ، التشابه الوثيق بين كلا المصدرين مما يشير ان كلا الطوفانيين يشيران الى حادثة واحدة وقعت في العراق وكانت من عظم التأثير في حياة البشر بحيث تناقلتها الاجيال والاقوام المختلفة . اما ان الروايات البابلية عن الطوفان هي من صنف القصص وليس الاساطير فأمر يكاد يكون مؤكدا . أى ان هذه الروايات تشير الى حادثة تأريخية معينة وقعت في زمن ما ولكنها رويت باطار قصصي خيالي وليس بلغة التأريخ الرزينة . ونسوق للتدليل على ما نذهب اليه برهانا آخر هو ان حادثة الطوفان وردت كذلك في وثائق مهمة جاءتنا من العراق القديم ، ونعني بذلك « اثبات الملوك

المتعارف من ان موضع الاستقرار ينبغي ان يكون اعلا جبل في ذلك الاقليم فقد ارتوى ان يكون في جبل « ماسيس » (اغريداغ) بالقرب من بحيرة وان الى الشمال الشرقي منها بقليل ويرتفع هذا الجبل بنحو ١٧٠٠٠ قدم فوق مستوى البحر . وهناك وهم شائع وهو ان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح هو « اراراط » والواقع ، كما بينا ، لا يوجد جبل بهذا الاسم وانما المقصود من عبارة التوراة انها استقرت على جبل من جبال اقليم (اراراط) أى في احدى جبال ارمينية . وبعد استقرار السفينة تنفق الروايات البابلية مع رواية التوراة في مسألة القربان الذي قرب به بطل الطوفان الى الاله . فتذكر ملحمة جلجامش ان الاله الذي سبب الطوفان ، وهو أنليل ، هدأت سورة غضبه من بعد القربان فذهب الى السفينة وأخذ « أوتو - نيشتم » بيده وجعله هو وزوجته يسجدان له ثم وقف الاله ولمسهما من ناصيتهما وبارك فيهما قائلا : « لم يكن أوتو - نيشتم حتى الان سوى انسان (فان) ، وليكن الان اوتو - نيشتم وزوجه الهين مثلنا ، وسيعيش اوتو - نيشتم بعيدا عند فم الانهار » . اما الرواية السومرية فتخص « زيور سدرا » بصيرورته الها وقد اسكنته الآلهة في « دلون » (في البحرين) . وتذكر لنا رواية التوراة ايضا ان الله بارك نوحا وذريته من بعد الطوفان ووعد بكثره النسل وانه سيملا الأرض ويحكم الحيوانات ، وان الله عاهد نوحا ان الأرض لن يحل فيها طوفان . وتخبرتنا ملحمة جلجامش ان أنليل قرر ان لا يحدث طوفانا في الأرض فيما بعد . وهذا قضية طريفة تتعلق بعلاقة

(٧٦) انظر المراجع في

Alexander Heidel, *op. cit.*, p. 259.

(٧٧) ملحمة جلجامش الرقيم الحادي عشر الاسطر ١٦٢ - ١٦٥ : « وعندما وصلت الالهة المعظمة (اى عشتار) رفعت العقدة الكبير الذي صنعه لها آنو وفق رغبتها وقالت : يا ايها الالهة الحاضرون ، كما اننى لن انسى هذا اللازورد الذي في عنقي ، فساتذكر هذه الايام ولن انساها » .

على مجرى الفرات القديم . وهناك من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد ان الطوفان الذي زخرت به مآثر العراق القديم ووجدت آثاره في بعض المدن القديمة قد تسبب بالدرجة من فيضان الانهار فيضانا كبيرا بدرجة غير مألوفة ، ولا يستبعد بل يرجح كثيرا ان امطارا غزيرة قد صاحبت فيضان الانهار ، ولعل الكلمة المستعملة لذلك الطوفان وهي « ابوبو » تعني ذلك الطوفان المصحوب بزوابع الامطار ، ومما يؤيد ذلك ان البابليين استعملوا للفيضان المؤلف الناشئ من الانهار وحدها مصطلحين آخرين غير كلمة « ابوبو » وهما « ميلو » و « ايدو » والواقع ان العراق من البلدان التي تكثر فيها ظاهرة فيضان الانهار حتى بعد أن ذلل الانسان هذه الانهار واحكمها بالسدود وسيطر عليها من بعد نشوء أولى الحضارات الراقية منذ بداية الالف الثالث ق.م. ولكن ينبغي ان يكون احد هذه الفيضانات قد بلغ من الشدة والعنف بحيث انه جلب الهلاك والدمار ولاسيما في القسمين الاوسط والاسفل من العراق ، فآثر في القوم وتآقلت روايته الاجيال من بعد حدوثه . واذا كان لا سبيل للجزم بالزمن الذي حدث فيه ذلك الفيضان العظيم فاننا نميل الى ارجاعه الى اواخر عصر جمدة نصر الى حدود ٣٠٠٠ ق.م. واذ كنا لا نستطيع أن نسهب في بيان الاسباب التي جعلتنا على ارجاع الطوفان الى ذلك الزمن فاننا نعددها ونوجزها على الوجه الاتي :

(١) دلالة التنقيبات التي اشرفنا اليها في العراق . وهذه دلالة قوية لا يمكن اغفالها او

السومرية « (٧٨) التي قلنا انها احتوت السلالات الملوكية التي حكمت في العراق القديم منذ أقدم العهود الى بداية سلالة أور الثالثة . والنقطة المهمة التي يعيننا أمرها من هذه الآيات بصدد بحثنا هي انها رتبّت سلالات الملوك الحاكمة الى قسمين قسم تنعته بالملوك الذين حكموا قبل الطوفان وبعد الطوفان « هبطت الملكية من السماء وحلت في كيش » .

والى ذلك فقد زودتنا التنقيبات التي اجريت في بعض مدن العراق القديمة ومنها « كيش » و « شروباك » (فارة الان) والوركاء بآثار ترسبات طوفانية (بلغت ثخانتها في الوركاء نحو ٥ أقدام) وهي تقع فورا فوق الطبقة التي تمثل دور جمدة نصر (في حدود ٣٢٠٠ ق.م) ، اي انها تفصل بين هذا الدور والطبقات التي تمثل عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م) . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان « اوتو - نيشتم » نوح الطوفان البابلي ، كان من أهل « شروباك » وهي من بين المدن التي وجدت فيها آثار ترسبات الطوفان المذكورة . و « شروباك » ، كما نعتها مدحمة جلجامش كانت على الفرات ، وهي الان

(٧٨) انظر :

Jacobsen, *The Sumerian King List* (1939).

(٧٩) انظر تقارير هذه التنقيبات المشار

اليها في :

Childe, *New Light on the Most Ancient East* (1935), pp. 168, 177.

ومما تحسن الإشارة اليه ان آثار ترسبات الطوفان الضعيفة التي وجدت « اور » في دور العميد لا يمكن ان تمثل ذلك الطوفان البابلي كما ترى لبعض الباحثين في مبدأ الامر ، فانه كان طوفانا محليا حتى انه لم يعم مدينة اور جميعها .

بالنسبة للبيئة الجغرافية التي نشأت فيها . واذ كنا لا نستطيع ان نفصل في تلك الاحوال التي نشأت فيها تلك الحضارة في جنوبي العراق فاننا نذكر هنا بعض النقاط الاساسية مما له علاقة بالموضوع الذي بين ايدينا الان . ولعل من الامور البديهية في تلك الاحوال ان الانسان لما حل في القسم الجنوبي من العراق في نهاية الالف الخامس ق.م (في حدود بداية عهد العبيد) كان هذا القسم من العراق حديث التكوين ، وكانت بيئة ذات امكانيات عظيمة من حيث الحطب والخيرات ولكن كانت ولا تزال في الوقت نفسه بيئة صعبة لا يمكن استغلالها الا بالسيطرة على الانهار الكبرى وضبط طرق الارواء والسدود وتحجيف الاهوار ومكافحة الفيضان . وعندما جاء الانسان وهو في فجر الحضارة (في عصور ما قبل التاريخ التي مهدت لنشوء الحضارة الراقية) وجد هذه المشاكل العظيمة فشرع في حلها بتدليل البيئة الطبيعية . ونعتقد ان اولي الجهود التي بذلها البشر في هذا الشأن قد بدأت في اولي عهود الاستيطان في جنوبي العراق في عهد العبيد . ومما لا شك فيه ان حربا سجلا بين الانسان وبين بيئته الطبيعية قد قامت منذ ذلك الحين فكانت هذه بوادر نشوء الحضارة التي نضجت في عصر السلالات . ومما لا شك فيه ايضا ان الجهود الاولى التي بذلها بناء الحضارة لم تكن كاملة ناجحة ؛ وكانت على رأس هذه الجهود مسألة السيطرة على الانهار وتنظيم شؤون الارواء ودرء الفيضان . وقد ظل الانسان يقارع الطبيعة ويتغلب عليها وتتغلب عليه ، ويتأثر منها وتأثر منه . وكان احدي مظاهر تغلب الطبيعة وتوثرتها على

تفسيرها على انها فيضان محلي وقسح في تلك المواضع القديمة .

(٢) ويتفق زمن هذا الطوفان الذي كسفت عن آثار ترسباته التقيبات المشار اليها مع زمن الطوفان المذكور في اثبات الملوك السومرية التي اشرنا اليها فيما سبق ، حيث تجعل هذه الاثبات حادثة الطوفان قبل سلالات الملوك الذين حكموا في عصر فجر السلالات ، وقد حكم اوائلهم في بداية هذه العصور نذكر منهم « جلجامش » بطل الملحمة التي ورد فيها ذكر الطوفان ، ومنهم « ابا » الذي جعلته اثبات الملوك في سلالة كيش الاولى وانه حكم قبل جلجامش ، ولكن القصة التي لحصنها فيما سبق (ابا و جلجامش) ثبتت حاصرها كما ذكرنا . وتذكر بعض الوثائق المتعلقة بسلالات الملوك « اوبار - توتو » من جملة ملوك الذين حكموا قبل الطوفان . و « اوبار - توتو » هذا كان اب « اوتو - نبشتم » ، نوح لطوفان البابلي . واذا كن هذا الاستنتاج صحيحا كما ذهبنا فيكون الملوك الذين حكموا قبل الطوفان في ثبت الملوك هم الحكام التمامي الذين حكموا في العصور التي سبقت عصر فجر السلالات منذ عصر جمدة نصر فما قبل وهي التي سبقت زمن لهور السلالات الواضحة المعروفة وزمن ظهور لحكم وعهد الحضارة الناضجة .

(٣) ويقوى الدلائل السالفتين من ان طوفان وقع في العصور التي سبقت عصر فجر سلالات أي في العهد الذي سبق زمن نشوء بلى الحضارات الناضجة في تاريخ البشر الاحوال التي رافقت نشوء تلك الحضارة وعوامل نشوئها

الالهة الحديثة وبين البيئة الطبيعية وتمثلها آلهة المياه الاولى . وهنا تتفق قصة الطوفان واسطورة الخليفة في ان كليهما تشير الى احوال ماضية ، بيد ان قصة الطوفان تتميز بكونها تاريخيا مرويا بلغة الرواية والحيال ، أى انها من اشعار الملاحم ، اما اسطورة الخليفة فهي تأليف خيالى وضعه الانسان لتفسير حوادث تاريخية ماضية ، كما سبق لنا ان عرفنا الاسطورة والقصة (٨١) .

وقبل ان ننهى تعليقاتنا على الطوفان نذكر رأيا طريفا ارتآه احد مشاهير علماء الجيولوجيا فى القرن الماضى لتعليل حادثة الطوفان البابلى (٨٢) وملخص نظريته ان الطوفان البابلى لم يحدث بفيضان الانهار وحده ، لان هذا الفيضان لا يكفى لتفسير ذلك الحادث الطبيعى العظيم ، وعنده ان الذى سبب الطوفان هو مد هائل من امواج البحر حدث بسبب اضطرابات بركانية فى منطقة خليج فارس أو الى الجنوب من ذلك الخليج، وقد صاحب تلك الامواج الهائلة من المد البحرى زوايع واعاصير مطيرية اتت من خليج البنغال فعبرت الهند ثم اجتازت خليج فارس الى العراق فصادف زمن مجيئها الى العراق زمن ارتفاع الانهار . وسببت الاضطرابات البركانية من الزلازل تفجر الينابيع والمياه التى اسفل سطح الارض فى سهل العراق ؛ وعملت الاعاصير على كسر سدود الانهار

(٨١) انظر الحاشية ٨

(٨٢) وهو الجيولوجى «ادوردسوس» انظر كتابه (المشار اليه فى Alexander Heidel, op. cit.) Eduard Suess, *The Face of the Earth* (Translated by Sollas (Oxford 1904), pp. 17 ff.

جهود الانسان ان الانهار بعد فصل شديد من الفيضان طغت وحدثت طوفانا شديدا تغلب على الانسان وعدته وهو فى بداية انشائه للحضارة ، فى آخر العصور التى سبقت عصور فجر السلالات التى سبق ان قلنا انها تمثل عهد الحضارة السومرية وازدهارها وتشمل ايضا عودة الانسان الى متارسة الطبيعة والسيطرة عليها بعد ان غلبته حينما من الدهر فيما قبل عهد الحضارة النضجة (منذ بداية الالف الثالث ق.م) . ولعل مما يؤيد ما ذهبنا اليه حول زمن الطوفان البابلى انه لو حدث فى العهود التاريخية منذ عصر فجر السلالات فما بعد لجاءنا اخبار تاريخية مدونة عنه كما جاءنا الكثير من الوثائق التاريخية المختلفة عن شؤون الحياة المختلفة ، ولما اقتضت معرفتنا بذلك الحدث العظيم على القصص وعلى اشارة فى ثبت الملوك السومرى .

ومما يجدر ذكره بصدد الاجوال الطبيعية فى العراق التى عكستها لنا القصص ان نستخرج ان نستشف هذه الاحوال من الاساطير وعلى رأس ذلك قصة الخليفة البابلية التى قلنا فى التعليق عليها (٨٠) انها تمثل لنا الصراع بين الانسان وتمثله

(٨٠) انظر « سومر » ، مج ٥ ع ١ (١٩٤٩) الص ١ فما بعد . ونعيد هنا بعض هذه النقاط لاهميتها بالنسبة الى موضوعنا . فمما قلناه « ان المياه الاولى والصراع والاحتراب بين الالهة الحديثة وعلى رأسها « مردوخ » وبين الالهة العتيقة وعلى رأسها « تيامة » وزوجها « ايسمو » (وعمما الالهان اللذان يمثلان المياه الاولى) وتغلب الالهة الحديثة ثم احلال النظام بسدال الفوضى ومن ثم خلق الكون والانسان وتشبيد المعابد وبناء الحضارة كل هذا وغيره يعكس صراع انسان الاول مع بيئته الطبيعية » .

الطبيعة ، وانها تتجه غربا أو شمالا وتكسح معها البحر وتحدث فيه ارتفاعا في مياهه يبلغ ارتفاع الجبال . والمألوف في هذه الاعاصير انها لا تتجه جهة خليج فارس والى الشمال من البحر العربى ، ولكي يدل ذلك الجيولوجى الشذوذ فى اتجاه تلك الاعاصير يرى انه صادف مرة ان اضاءت اتجاهها أى غيرت اتجاهها لاسباب مجهولة ومرت من خليج فارس الى سهل ما بين النهرين . وهذا وفق ما جاء فى رواية الطوفان البابلية من ذكر اعاصير الامطار الشديدة وهى الاعاصير التى يهب اشدها من منطقة الخليج ، وعمل هذا الاعصار على سوق سفينة « اوتو - نبشم » من « شروباله » الى جبل « نصير » وهى مسافة تناهز ٢٧٠ ميلا الى جهة الشمال .

كما انها ساقطت معها كميات هائلة من مياه البحر وسببت سيولا هائلة من الامطار . وعندئذ ان الطوفان تسبب بالدرجة الاولى من مياه البحر ، اما الامطار وفيضان الانهر فكانت عناصر ساعدت على شدة الطوفان . ومما يلاحظ ان نظرية ذلك الجيولوجى فيها توفيق بين رواية التوراة وبين روايات الطوفان البابلى ، فيستدل مثلا من الروايات البابلية على نظرية الامواج البحرية من اتجاه فينة الطوفان أى من الجنوب الى الشمال أى أن السفينة سارت باتجاهها عكس تيار النهرين الطبيعى وانها سارت اكثر من مائتى ميل شمال موطن بطل الطوفان « اوتو - نبشم » فى « سوس » فى هذا دلالة قاطعة على ان اعصارا تولد قرب جزائر « أندمان » فى خليج البنغال ، ويعد هذا الجيولوجى تلك الاعاصير من اشد واهول ما يحدث فى